روايات مصرية للجيب

9

ميتا فيزيقا

فريق متميزون

E-BOOK

حجر سليمان

أحمد خالد

مكتبة فريق (متميزون)

لتحويل الكتب النادرة الى صيغة نصية

قام بالتحويل لسلسلة (ميتافيزيقا)

كلمه مهمة: هذا العمل (تحويل سلسلة ميتافيزيقا للكاتب أحمد فكري الي صيغة نصية) هو بمثابة خدمة حصرية للمكفوفين، من منطلق حرص الجميع على تقديم ما أمكن من دعم للإنسان الكفيف، الذي يحتاج أكثر من غيره للدعم الاجتماعي والعلمي والتقني بحيث تعينه خدماتنا هذه على ممارسة حياته باستقلالية وراحة، وتعزز لديه الثقة بالنفس والاندماج بالمجتمع بشكل طبيعي.

وبسبب شح الخدمات المتوفرة للمكفوفين حرصنا على توفير خدمات نوعية تساعد الكفيف في المجالات التعليمية العلمية والثقافية وذلك بتسخير ما يتوفر من تقنيات خاصة لتحويل الكتب الي نصوص تكون بين أيديهم بشكل مجاني، ويمكن لبرامج القراءة الخاصة بالمكفوفين قراءتها.

مع تحيات: فريق (متميزون) انضم الى الجروب

انضم الى القناة

سلسلة ميتافيزيقا
تتجاوز حدود الطبيعة
أو ما وراء الطبيعة
العدد رقم (09)

حجر سليمان

تأليف: أحمد فكري

مقدمة..

مصطلح يعنى الأشياء التي لا تخضع لقوانين الطبيعة، أو يمكن التعبير عنها مجازيًا، بأنها الأشياء التي تتجاوز حدود الطبيعة أو ما وراء الطبيعة.. وقد أتت الكلمة من الكلمتين اليونانيتين (μετά) ومعناها (ميتا: ما وراء أو بعد) و(φυσικά) وتعنى (فيزكا: مادي أو طبيعي).

أحمد فكري

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

إهداء..

إلى من جعل الشباب يقرءون..
إلى الأب الروحى د/ أحمد خالد توفيق..
لن ننسـاك..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

يحقـق القــدر أمنياتنـا، لكـن بطـريقتـه الخـاصـــة، كى يعطينا شيئًا أبعـد من أمنياتنا.

يوهان فون غوته

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

مقدمة

إبراهيم توفيق..
محام متقاعد ترك المحاماة منذ زمن.. منذ تركته زوجته وابنته وذهبا إلى ربهما بلا رجعة.
ترك المحاماة وترك بيت أبيه الصغير القديم فى حى فم الخليج، ذلك الحى العريق فى منطقة مصر القديمة.. هل تعرف سور مجرى العيون؟ نعم هى تلك المنطقة هناك.. واستقر به المطاف فى شقة بالمقطم، ذلك الجبل الساحر، تلك المنطقة الأسطورية التي لا مثيل لها، التي يقولون إنها سميت باسم « المقطم بن بيصر بن مصر بن حام بن نوحq»، وكان عبدًا صالحًا يتعبد على ذلك الجبل. شقة فخمة لا بأس بها، فى بناية لا بأس بها كذلك.. ولديه إرث جيد، ينفق منه.
أهوى كل قديم.. نعم فأنا أتحدث عن نفسى إن لم تلاحظوا ذلك.. وأنفق من ذلك الإرث على متعتى الشخصية التي تتمثل فى الأسفار، أو شراء أى شىء قديم.
لقد مر خمس سنوات على أول لقاء لى بكم، منذ أن بدأت أقص عليكم تلك الحكايات.
بداية من بائع الروبابكيا، الذي ابتعت منه ذلك الصندوق الغريب الذي كان يحوى شيئًا أغرب.. تتذكرونه؟
ثم قابلنا معًا الدمية (ماندى) فى ذلك المتحف، وحاربنا (سامهين) ولعنته، ثم دخلنا قصر دراكيولا وأيقظنا خادمه، وقابلنا تلك الفتاة العابثة (لوانّا)، وذلك البروفيسور غريب الأطوار الذي نسيت اسمه.. دخلنا معًا تلك الشقة المسكونة، وخرجنا منها سالمين، وعرفنا الكثير من الحقائق التاريخية التي زيفها الغرب فى قصة « لست مجنونًا »، وسافرنا إلى اسكتلندا، تحديدًا فى دونفيجان.. وآخر ما حكيناه كانت حكايتنا مع (شمهورش).
لقد راقت تلك الحكايات لبعضكم، والبعض الآخر لم يرق له أى منها..
لكن دعونا نتفق على شىء.. شىء واحد فقط اجتمع فى كل تلك الحكايات.. هو التسلية.
لذا دعونا الآن من هذه المقدمة التي زادت عن حدها، ولنذهب إلى قصتنا الجديدة.
اعثروا على مكان لأصدقائنا الجدد كى يجلسوا إلى جانبكم.. نعم.. ها هنا تفضلوا.
الآن اكتمل العدد..
لنحك لكم إذن قصة ذلك الحجر.. تحديدًا حجر سليمان!
هى قصة أظنها جيدة ومسلية.

لننصت إذن.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

مشاهد قصيرة للغاية
المشهد الاول

خرجت (عفاف) من الحمام بجسدها وشعرها المبتل، بعد أن فرغت من أخذ حمامها، وقد لفت خصرها بالمنشفة، وقد أخذت قطرات الماء تتساقط من جسدها على أرض الغرفة صانعة بعض البرك الصغيرة من المياه كلما خطت بضع خطوات..
هرشت فى كتفها بعد أن شعرت بلسعة حشرة ما آلمتها للغاية، لكنها واصلت طريقها إلى غرفة النوم، ومن ثم إلى المرآة.. نظرت إلى كتفها حيث اللسعة، لترى أثرها، فرأت ذلك الاحمرار!
حينئذ فقط زادت اللسعات وصارت فى أماكن متفرقة من جسدها، وكأنها جلدت بالسياط!
نزعت المنشفة بسرعة وألقت بها على الفراش بعيدًا عنها لترى مصدر تلك اللسعات.. حينها رأت الهول ذاته.. كل تلك الكمية الهائلة من النمل تسري على جسدها بحرية تامة.. حشد كامل من النمل قد اتخذ جسدها مرتعًا!
ـ أطلقت صرخة ليست بالهينة، صرخة توقظ الأموات من قبورهم.. ثم سقطت فاقدة الوعي.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

قبل ذلك بأيام..
تنظر (عفاف) إلى المرآة تتأمل نفسها.. هى تشعر بأن هنالك تغييرًا طفيفًا، لكنه كذلك ملحوظ فى قسمات وجهها.. لقد اختفت بعض الخطوط والتجاعيد فى وجهها!
هى تشعر أنها أفضل حالًا مما كانت عليه بالأمس.. لقد صار لونها كذلك افتح قليلًا.. وربما احمر خداها قليلًا كذلك..
هى تعلم أن ما تستخدمه من مساحيق لم يحظ معها بأية نتيجة بعد، لذا فهناك شىء ما!
لن تخبر زوجها بذلك التغيير، لأنها لو أخبرته، لكان معنى ذلك أنها كانت قبيحة من قبل.
لذا آثرت الصمت.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

دلفت (عفاف) إلى جوار زوجها (ممدوح) فى الفراش، وأخذت تلكزه بكتفها كى ينهض، فأصدر صوتًا كالنهيق، وأخذ يطلق سيلًا من الهمهمات غير المفهومة، فأضافت هى برومانسية مصطنعة:
- أرجو منك أن تخبرنى بشىء، ألم تلحظ تغييرًا قط؟!
ثم رفعت صوتها صارخة فى أذنيه:

- (ممدوح).. (ممدووواااااااح)!
استدار لها (ممدوح) وهب من مرقده وجلس على الفراش، وقال بعينين منتفختين كجثة لفظها النهر منذ قليل:
- ماذا هنالك أيتها المعتوهة؟! ماذا أصابك؟! هل لدغك ثعبان حتى تصرخى صراخًا كهذا يوقظ الموتى؟!
قالها كسدادة فلين لفيها، ثم عاد أدراجه، وغط فى سبات عميق، وتعالى شخيره مجددًا.
زفرت هى فى حدة ثم لم تجد مفرًّا من دس رأسها تحت الوسادة، ومحاولة النوم.
ثوان، ثم نهضت منكوشة الشعر، وهى تصرخ:
ـ حسنًا.. لن أنام بجوارك بعد الآن أبدًا..
نم وحدك إلى الأبد يا ...
(وخفضت صوتها) عديم الإحساس.
قالتها، ونهضت عابرة من فوقه داهسة على معدته قاصدة.. تأوه كاتمًا صوته.. وغادرت الفراش، ثم الغرفة، وأغلقت الباب خلفها.
فى تلك اللحظة ابتسم (ممدوح)، وفى رأسه دار أمران: الأمر الأول أنه لم يرحها ولم يخبرها بأنها صارت جميلة، ولو قالها فستقول كالمجنونة إنه كان يراها كالجيفة.. والأمر الثانى أنه سوف ينعم بالنوم على الفراش وحده، وربما كما قالت وتمنى هو « إلى الأبد ».

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

المشهد الثانى

تصرخ (حسنية) فى زوجها قائلة:
ـ لقد تبدلت كثيرًا يا (حنفى).. وأنا السبب.
ينظر إليها وعلى وجهه علامات البلاهة كالمجاذيب، عيناه تشردان ويبتسم ثم يقول بلسان ثقيل يسيل منه اللعاب وتخرج منه الحروف مهشمة:
ـ أنت السبب فى ماذا؟ تقصدين فى أننى أحببتك؟ هههههه خخخخخ.
تلطم صدرها وخديها وتذرف دموعًا.. إنها بالفعل السبب فى تبديله.. لم يكن قبل شهر ذلك الأبله العبيط، لقد كان رجلًا « ملو هدومه » كما يقولون بالعامية، يحبها تارة ويكرهها تارة أخرى، يختصمان ويتصالحان، يضربها ويلثمها.. حياة طبيعية كحياة أى رجل مع زوجته.. أما الآن فصار « خرقة بالية » لا لزوم لها، يسير خلفها بلا كلمة واحدة.. بلا معارضة.. لا يخالفها قيد أنملة، ولا يحيد عنها قيد أنملة.. أوامرها، أو أقصد كلامها وتعليماتها، تنفذ بالحرف الواحد.. لك أن تصدق أنها إن قالت له: ألق بنفسك من النافذة، لفعل وألقى بنفسه منها بالفعل.

وقد فعل ذلك.. ليس تحديدًا.. لكنه فعل مثله تمامًا.. قالت له: لتذهب إلى الجحيم، فأمسك بعود من الثقاب وجركن مليء بالكيروسين وأفرغ ما فيه على رأسه، كأنه أخذ به حمامًا، ثم أشعل عود الثقاب كالمنوم مغناطيسيًّا وكاد أن يلقيه على رأسه، لولا أن « رقعت بالصوت وولولت » ونفثت فى العود الذي لم تتمكن منه النار لتطفئه فى مهدها.. أتى الجيران وحطموا الباب عليهما ليدخلوا ويروا المشهد.. الرجل كاد أن يحرق نفسه حيًّا.. فقط لأن زوجته (حسنية) قالت له أن يذهب إلى الجحيم.

كاد وقتها أن يحارب الجميع كثور هائج.. ضرب أكثرهم وسالت الدماء محاربًا عن عود الثقاب.. سوف يشعل عود الثقاب رغم أى شىء.. تعارك مع جيرانه لأجل قتل نفسه، لكنهم قيدوه وسط لطم للخدود وصراخ ونحيب من نساء الجيران ومن (حسنية) ذاتها.

ذهبوا وتركوه بعد أن عرض أكثرهم عليها أن يطلبوا له السرايا الصفراء.

لقد خف عقله، أو ذهب بلا رجعة.

وقتها علمت أنه قد تغير، لم يعد كما كان..

والسبب؟.. هى..

لذا قررت أن تعود فى فعلتها وترجع إلى الشيخ الذي ذهبت إليه.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بدايـة الحـكايـة
جريمـة غامضـة فى بيتى القديم
ـ ١ -

فى ذلك اليوم المنحوس..
جرس الباب يدق بإلحاح!
على الباب وقف ذلك الأمين أمامى، سائلًا:
- أستاذ (إبراهيم).. هذا أنت؟
عدلت من وضع منامتى، وأغلقت زرًّا فى وسطها، كان قد فتحه كرش عملاق بعد غداء ثقيل فى حاتى المنطقة، وأجبت: ـ نعم هو أنا..
لكن لماذا؟
بذات الثبات أضاف:
- هل أنت صاحب البيت رقم ٩ فى فم الخليج؟
- نعم أنا صاحبه.
قلتها وقد تنبأت أن هنالك مصيبة على الأبواب، لذا نبت العرق على جبهتى سريعًا، والحموضة تصاعدت على صدرى وألهبته.
فأضاف هو مطمئنًا إياى بكل هدوء:
ـ لا تقلق.. فقط هناك قتيلان فى منزلك!
- إذن ما دام هناك قتيلان فى منزلى فالأمر بسيط بحق، ولا يحتاج إلى أن أتوتر.. أنت على حق.
قلتها له وأنا أتمالك أعصابى، فأضاف هو بذات النبرة: - أستاذى الفاضل، هذا استدعاء لا بد منه لأنك مالك المنزل، ولا ينم عن شكوك تحوم حول سيادتك.. فقط هو منزلك، وفقط هى شقة من بين الشقق التي تخصك.
قدرت أننى لن آخذ منه حقًّا ولا باطلًا.. ثم إن دوره إلى هنا قد انتهى.. هم يريدوننى فحسب.. لذا سوف أذهب.. فكما قال، هو بيتى، وهى شقتى.. لذا ارتديت ملابسى، وذهبت معه إلى حيث منزلى القديم.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فى بيتى القديم فى فم الخليج كان هناك مجموعة من رجال الشرطة، الجميع يرتدى زيه الأسود الشتوى الثقيل.. هناك واحد يرتدى بدلة كاملة ورابطة عنق، أو ربما اثنان، وآخر يرتدى بالطو أبيض نظيفًا.. بعضهم يلتف حول جثة متعفنة، يبدو من حالتها أنها كانت لشاب فى الثلاثينات من عمره، بجواره يجلس الرجل القرفصاء ممسكًا بكيس بلاستيكى يحوي داخله سكينًا ملطخًا بالدماء! والبعض الآخر يلتف حول جثة أخرى متسخة تمامًا ومتعفنة بدورها، لكن لشيخ عجوز ملتف بكفن أبيض متسخ بدوره!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞
نظر إلىَّ أحد الواقفين بعد أن ذهب إليه الأمين وهمس فى أذنيه بأننى من أمروا بإحضاره، وأننى صاحب البيت والشقة.. ترك زملاءه ودنا منى.. هنا تبينت ملامحه جيدًا: أسمر الوجه، حليق الذقن، متجهم لا يبتسم..
قال وهو يمد يده ليصافحنى برصانة:
- أستاذ (إبراهيم)؟ أهلًا بك.. أنا (محمد راضى) ضابط المباحث.
بادلته المصافحة، قائلًا:
- أهلًا وسهلًا بسيادتك.
أضاف دون أن يحرر يده من يدى، وهو يشير إلى الجثمان الأول الخاص بالشاب، وقد انفجر جدار بطنه وظهرت أحشاؤه: - نعتذر عن مجيئك بتلك الطريقة، لكن سيادتك صاحب الشقة والعقار، أليس كذلك؟
- بلى.
- إذن أنت تعرف ذلك الرجل.. أو كى نكون أكثر دقة: ذلك القتيل؟
- ليس أكيدًا.. فملامح الوجه قد ضاعت تقريبًا.. لكننى أظنه (حسن).. فهو من يقطن الشقة.. وهو مستأجر لدى منذ سنوات، هو وأخته.
- إذن أين أخته؟
- ما أعرفه هو أنها غادرت مصر منذ سنوات مع زوجها، وأنه يعيش بمفرده فى تلك الشقة. أيضًا ما أعرفه عنه أنه ليس له أحد غيرها.
قلتها فأخرج علبة سجائر من جيوب معطفه، وأخرج منها سيجارة وناولنى إياها، قائلًا: - إذن الشقة ستئول إليك بعد موته.. صحيح؟
هل كان يدفع لك الأجرة فى موعدها أم إنه ...
نظرت إليه، وقلت مقاطعًا إياه وقد تغيرت نبرة صوتى: - سيادتك تريد وبوضوح شديد أن تثبت أن لى مصلحة فى موته، لكن هذا ليس صحيحًا.. الإيجار ليس مهمًّا بالنسبة إلىَّ، إن كنت تظن ذلك، فهو بضعة ملاليم بالنسبة إلى.. هذا إن كان لا يدفعه لى، لكنه كان يأتينى به كل أول شهر.. أما عن الشقة فهى لا تشكل كنزًا بالنسبة إلىَّ، فوالدى كان قاضيًا، ولى منه إرث لا بأس به.. ثم إن البيت كله بيتى ...
قاطعنى قائلًا:
- أستاذ (إبراهيم)، أنا فقط ...
قاطعته مرة أخرى قائلًا:
- (حسن) يدفع لى الأجرة فى وقتها، كان يتركها مع بواب العمارة التي أقطن بها الآن، ولا يوجد بينى وبينه أية عداوة، ثم إننى لم أره منذ سنوات، ثم إننى أيضًا لم أزر المنطقة منذ زمن.. وكما قلت، البواب كان يأتينى بالأجرة ويقول لى إن الأستاذ (حسن) قد أتى وترك لى ذلك المظروف، الذي يحوى أجرة الشقة.. ولم أسأله عنها لو أخرها عن موعدها قط. ولو تريدون سؤال (رجب) البواب عما إن كان كلامى صحيحًا أم ...

ابتسم هذا المرة ابتسامة تدل على أنه قد فهم أننى أفهم ما يدور حوله جيدًا، وقاطعنى قائلًا: - بكل تأكيد سوف نسأل أى أحد له علاقة بالقتيل.. فأنت تعرف دورنا.. لكن هذا لا يعنى أننى لا أصدقك..
قالها ثم أضاف:
- حسنًا.. وهذا، هل تعرفه؟
قالها وهو يشير إلى العجوز، أو بالأحرى: جثة العجوز، التي لم تكن أحسن حالًا من أختها البتة، فأجبته: ـ حقًّا لا أعلم، ربما كان قريبًا له، وربما كان القاتل.
شرد هو قليلًا وهو يقول:
ـ هناك شىء غريب رأيناه.. (قالها وتقدم بضع خطوات وأشار إلى بعض آثار خطوات لقدم كبيرة من الوحل).. هذه الآثار هى آثار قدم العجوز، ويبدو جليًّا أنه لم يكن يرتدى خفًّا أو حذاءً!
شرد مرة أخرى، وكأنه تذكر أننى هنا فى استدعاء وليس لأحل معهم لغز القضية، ثم أضاف: - سيد (إبراهيم) أنا أشكرك، ولا تؤاخذنى.. فقط كان لا بد من الاستدعاء كى تتعرف على الجثتين، ولأنك مالك الشقة، ولاستيفاء المحضر كذلك، أما الآن فيمكنك الانصراف لحين احتياجك.
قالها فمددت يدى وصافحته وغادرت المكان بأسره.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

صورة من محضر التحريات

إنه فى يوم ...
الساعة ....
تم فتح المحضر بمعرفتنا نحن (عيسى عبد العظيم) رئيس المباحث.
وقد كشفت التحريات الأولية السرية، بناءً على تعليمات النيابة، أن المدعو (حسن خلف صابر) كان يقطن فى العقار رقم ٩ فى الشقة رقم ٥ بمفرده وليس معه أحد، كما أسفرت التحريات عن عدم وجود أية خلافات بين المذكور وبين أى أحد، سواء فى منطقته أو خارجها، وأنه كان حسن السير والسلوك والسمعة.
ونحن فى انتظار تقرير الطب الشرعى.
صورة من تقرير الطبيب الشرعى
منطقة فم الخليج الطبية
طب شرعى مصر القديمة
تقرير طبى شرعى..
فى القضية رقم 487/2018 جنايات مصر القديمة
أثبت أنا (عزيز عبد الناصر السالمى) الطبيب الشرعى أننى، وبناء على طلب النيابة العامة فى القضية عاليه،قد قمت بالاطلاع على مذكرة النيابة وكذا

الأوراق الطبية المرفقة من الكشف الأولى، وتوقيع الكشف الطبى الشرعى على جثة / حسن خلف صابر.
وجثة / مجهول.
لبيان سبب الوفاة وتاريخ الوفاة وساعتها، وإن كان العجوز المجهول هو القاتل أم لا، وفق التصور الوارد من النيابة العامة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الكشف الطبى الشرعى

بعد معاينة الجثة تبين أن سبب الوفاة طعنة نافذة فى الظهر تمت بآلة حادة، وهى سكين وقد تم العثور عليها بجانب الجثة، وأن الجثة كانت فى حالة التعفن الرمى، وأن جدار البطن كان منفجرًا تمامًا، وأن معالم الوجه كانت غير موجودة بالمرة.. وهذا يؤدى إلى تحديد وقت الوفاة بعد عشرين يومًا مضت من تاريخه..
وبعد التعرف على البصمات المتواجدة على السكين (أداة الجريمة) ومطابقتها ببصمات جثة العجوز وإيجاد التطابق بحضور ورفقة مندوب النيابة تبين أن العجوز هو مرتكب الجريمة.
وبمعاينة جثة العجوز تبين أنها كانت متسخة بالطين وبها آثار تآكل واضح سببه مجهول، وكذا وجود كفن أبيض متسخ كان ملفوفًا به.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

وهكذا تم الحكم بالآتى:
تمكين مالك الشقة الأصلى من الشقة.
حفظ القضية لحين ظهور أى مستجدات.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ـ٢ـ

أنا أجلس فى شقتى أقرأ أخبار الفيس بوك.. حقيقة هو مسلٍّ، لكنه مسلٍّ مثل الكاتب (أنيس منصور)، مسلٍّ جدًّا، لكنك تخرج منه بلا فائدة، أو لنقل إن فائدته الوحيدة هى التسلية. فهو يسرح بك يمينًا ويسارًا ويلف بك الكون كله لتدرك فى النهاية أنك قد نسيت عمَّ كان يتحدث فى البداية، لكنه مسل، رغم ذلك، كما قلت.
دق جرس الباب وذهبت لأفتح فوجدت جارى (عبد الحميد).. أفسحت له مجالًا كى يدخل إلى الشقة ففعل، وأخذ يتوغل حتى وصل إلى حيث اللاب توب الموضوع على المنضدة وبجانبه كوب من الشاى.
ألقى نظرة على الشاشة، ثم قال:
- لقد صرت نمسًا أيها الرجل. قالها وهو يحرك الفأرة يمينًا ويسارًا.

اتجهت إليه بعد أن أغلقت الباب، وجلست أمامه، قائلًا: - الحياة صارت مملة. لا شىء جديد.
ترك ما كان يفعل، وقال:
- هذا مربط الفرس، فهذا ما جئت إليك بصدده.
- لا أفهم.
قلتها، فأضاف:
- هنالك رحلة أعتقد أنها جيدة، تابعة للكلية، ولسوف آخذك معى.
نظرت إليه، قائلًا:
- جيد، لكن إلى أين؟ لقد زرت كل الأماكن تقريبًا.
قال وهو يخرج لفافة تبغ من علبة فضية جيدة الصنع: - الأمر لا يقاس هكذا يا رجل.. نخرج لنستنشق الهواء، « نغير جو »، أيها الميت.
قالها ونهض، وهو يعيد سيجارته إلى العلبة ولم يشعلها، وأضاف: - عامة سوف أمر عليك يوم الجمعة صباحًا فهو موعد الرحلة.
قاطعته:
- أريدك قبل ذلك فى شىء هام.
أومأ برأسه، وتساءل:
- أى شىء؟
نهضت معه وسرنا حتى الباب، وأنا أجيبه:
- النيابة أعادت لى الشقة، وموعد استلامها الغد، وبصدق لا أريد الذهاب بمفردى، وأريدك معى.
خرج من الشقة، ووقف ليقول:
- حسنًا.. سأمر عليك، أو ربما أنتظرك هناك.
- شكرًا لك أيها الرجل على كل شىء.
قال وهو يصافحنى:
- هذا ليس كل شىء، فهذه لها مقابل.
- ما هو؟
- أن تأتى معى تلك الرحلة.
قلت مبتسمًا:
- سوف آتى.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ـ ٣ ـ

قابلته على مدخل البناية وصعدنا إلى الشقة إياها..
أخرجت المفتاح وأولجته فى الباب، وفتحت الشقة..
رائحة العطن والدماء والموت لفحتنا..
توغلنا أكثر.. الأثاث بال جدًّا، والقماش مهترئ، والمصابيح أكثرها لا يعمل.

الشقة عبارة عن حجرتين فى خط مستقيم إلى جوار بعضهما يفصل بينهما جدار، وباب خشبى لا قيمة له لأنه لو تم إغلاقه لاختنق من فى الحجرة المجاورة، فليس هناك هواء ولا متنفس.. هنالك على اليمين حجرة أخرى بابها مغلق، كنا قديمًا نتخذها غرفة نوم.
وفى الأمام بعد الغرفتين ترى حمامًا لا يتعدى المتر المربع، ألصق به مطبخ من مترين تقريبًا.
دلفت إلى الحمام والمطبخ، وتركت (عبد الحميد) بالخارج.
ذهب هو إلى غرفة النوم، وأضاء المصباح الكهربى الواهن الوحيد، الذي غلفته الأتربة، لتفصح الغرفة عن قطع بسيطة متناثرة من الأثاث الرخيص. كومود، وسرير قماشه أصبح واهنًا كخيط العنكبوت، وحافظة ثياب.
يفتح الكومود ويغلقه، فلا شىء بداخله سوى بضعة شرائط من أدوية المغص والإسـهال، وأنبوب مرهم موضعى للالتهـاب.. تركـه وفتـح حافظة الملابس.. هناك خزانة صغيـرة خشبية بها ثلاثة أدراج، لم يعثر على مفتاحها، فقذف بها إلى الأرض بكل ما أوتى من قوى فلم تفلح محاولته.. وضعها جانبًا، وأخذ يعبث فى الثياب المعلقة يمينًا ثم يسارًا.. هنا ارتطم ظهر يده بمعدن.. أمسك المعطف الذي ارتطمت به يده، وعبث فى جيوبه، فوجد مفتاحًا صغير الحجم.. ابتسم فى انتصار، وذهب إلى الخزانة الصغيرة الخشبية.. أولج المفتاح وأداره فسمع الصوت المحبب إلى النفس، وبدأ يفرغ الأدراج.
الدرج الأول وجد به عقد الشقة..
الدرج الثانى بعض الأقلام..
الدرج الثالث وجد فيه مفتاحًا أكبر من مفتاح الخزانة، وشكله غريب نوعًا.
أمسك المفتاح وقلبه بين يديه، ثم أخرج من جيبه العدسة المكبرة، التي لا تفارق جيبه أبدًا، وبدأ يفحصه.. هناك نقوش غريبة الشكل.. لكن اللغة!
∞ ∞ ∞ ∞ ∞
لم أجد أنا شيئًا فى بقية الشقة، لذا ذهبت إليه وأنا أنادى عليه لأنه تأخر ولم أسمع له صوتًا.
دلفت إليه فوجدته جالسًا على الفراش ويمسك فى يده اليمنى عدسته، واليسرى مفتاحًا غريبًا أخذ يقلبه يمينًا ويسارًا..
نظر إلىَّ، قائلًا:
- هذا غريب!
تساءلت وأنا أتقدم ناحيته:
- ما هو الغريب؟
- هذه النقوش وهذا المفتاح.. إنها السريانية.. هى ...
اعتدل فى جلسته، وأضاف:
- هى لغة يعتقد البعض أنها لغة الجن والسحرة.. علمًا بأنها تكتسب أهمية دينية خاصة فى المسيحية، أولًا لأن المسيح ـ عليه السلام ـ قد تكلّم بالآرامية،

التي تعتبر بمثابة اللغة الأم للسريانية، وثانيًا لأن العديد من كتابات آباء الكنيسة والتراث المسيحى قد حفظ بتلك اللغة.. فهذا المفتاح أراد صاحبه ألا يرى كل الناس الشىء أو الباب أو أيًّا كان ما يفتحه هذا المفتاح، فأخفاه عن الناس فى تلك الخزانة.
- والشرطة ألم تعثر عليه؟
- ومن أدراك؟! فربما عثرت عليه، ووضعته مكانه وأغلقت الخزانة وأرجعت المفتاح الصغير داخل جيوب ذلك المعطف كما كان.
صمت ثم أضاف:
- من وضع هذا المفتاح هنا وضعه كى يجده مَن يفهم فى أمور السحر.
- إذن بقى أن نعرف ما الذي يفتحه ذلك المفتاح. فربما لم يكن هنا من الأساس، وكان فى مكان أو شقة أخرى غير تلك.
- لا. لا أعتقد ذلك.
قالها ثم أضاف:
- ابحث معى عن جدار به شق، أو خزانة مخفية، أو غير ذلك.
أخذت بعضى وبدأت أبحث عما يقول، فأضاف مرة أخرى: - اذهب أنت إلى باقى الشقة وأنا سأبحث هنا.
تركت الغرفة بأسرها وذهبت أتفقد باقى الشقة.
جلس هو لثوان يتأمل المفتاح، ثم نهض وأخذ يبحث داخل حافظة الثياب مرة أخرى.. أزاح بعض الثياب، لكن لا شىء..
هنا جلس على الفراش مرة أخرى وهو يقول لنفسه: - من أخفى هذا المفتاح لم يرد أن يعثر عليه أحد، لذا حصنه بتلك الطريقة.
أمسك المفتاح مرة أخرى، وقرب العدسة، لكن لا شىء.. هو لا يفهم السريانية.
كنت أنا قد قتلت الشقة بحثًا عن لا شىء، لذا لهثت وأنا أجلس إلى جواره وأقول: - لم أجد شيئًا، لقد بحثت فى كل ركن عن ...
هنا قاطعنى وهو شارد الذهن:
- ولن تجد.. يجب أن يكون معنا خبير فى تلك الأمور.
- إذن؟
قلتها فقاطعنى وهو ما زال شاردًا:
- (حسين الصياد)..
قالها وترك شروده واستفاق وأضاف وهو ينظر إلى: - (حسين الصياد) دكتور صديقى فى الجامعة وخبير فى اللغات الميتة!
- حسنًا.. والآن؟
قلتها فأضاف:
- نرحل
- والمفتاح؟

- سآخذه معى بالطبع وأعرضه عليه.
قالها فنهضنا وغادرنا الشقة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

دكتور حسين الصياد
ـ ١ -

- استطاع العلماء أيضًا فك شفرة مخطوطات اللغة المسمارية، وهى لغة غير سامية كانت تُستعمل قديمًا فى بلاد الرافدين لدى السومريين والبابليين والحيثيين والكاشانيين. ويُقال إن هذه اللغة قد اندثرت فى القرن الثانى أو الثالث قبل الميلاد.. وكان يوجد فى شمال بلاد الشام لغات ولهجات سامية.. وانتشرت اللغة الأكدية فى غربى نهر دجلة، ومن قبلها كانت اللغة الأمورية. لكن لم يبُت علماء اللغات القديمة فى أسباب اختفاء هذه اللغات القديمة. وبصفة عامة نجد أن اللغات السامية تنقسم إلى ثلاث مجموعات رئيسية هى ...

توقف الدكتور (حسين) ثم أضاف:

- لكن هذا سوف نعرفه فى محاضرتنا القادمة، إن شاء الله.

قالها فالتف بعض الطلاب حوله يسألونه عن أشياء فى المنهج الدراسى أو خارجه.. لمح ضوء هاتفه المحمول يضىء وينطفئ معلنًا عن مكالمة.. رفع عويناته الطبية ودقق النظر ليجد اسم الدكتور (عبد الحميد).. ضغط الزر، وأجاب: - صباح الخير يا دكتور.. كيف حالك؟

أتاه صوت (عبد الحميد) من الجهة الأخرى يقول بوقار: - بخير حال.. هل انتهيت من محاضرتك؟

- نعم، لكن ...

- أنا أنتظرك فى مكتبك.

قالها منهيًا أى حديث قادم، فأضاف (حسين الصياد) باستغراب: - حسنًا.. أنا قادم الآن.

قالها وأغلق الهاتف، ولملم حاجياته وغادر المدرج وسط أسئلة الطلاب التي لم يجدوا لها ردًّا، على الأقل اليوم.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فى مكتبه كان (عبد الحميد) ينتظره واضعًا مفتاحًا نحاسى اللون أمامه وواضعًا كفيه تحت ذقنه.. ما إن دخل حتى نهض (عبد الحميد) من مقعده ليصافحه ثم جلس وأشار إليه بالجلوس أمامه ففعل.

نظر (حسين) إلى المفتاح وأضاف وهو يشير إليه: - هذا ما جئتنى من أجله؟

أومأ (عبد الحميد) برأسه موافقًا.

مال (حسين) إلى الأمام ليلتقط المفتاح بين يديه، ويفحصه بعين خبير، ويقول:

- هذا سريانى، ترجمته:

« وبالفتح يا فتاح فافتح قلوبنا، لكشف خفى فى القلوب إذا خفت »!

وما إن فرغ حتى نظر إلى (عبد الحميد) الذي سأل: - وما معنى هذا؟

- بالطبع لا أعلم.. فأنا لست منجمًا أو ساحرًا.
قالها (حسين)، فتناول (عبد الحميد) منه المفتاح وهو يقلبه كأنه يتأكد من صحة ما ترجمه (حسين)، ثم قال وهو ينهض من مقامه: - حسنًا.. شكرًا لك.
وهـم أن يغـادر المكتب، لولا أن نهـض (حسين) ليقـول وهـو يمسـك بكتفه: - شكرًا لك. هكذا إذن؟
- نعم فهذا كل شىء.. لم تفدنى بشىء.. فما معنى ما قلته لى؟
- بالتأكيد لا أعلم معناه.. فكما قلت لك، أنا لست ساحرًا، لكن ...
هنا حرر (عبد الحميد) كتفه من يده وقال:
- لكن ماذا؟
- عندى من يعرف.
- من هو؟
- هذا رجل يعرف فى مثل هذه الأمور، هو روحانى كما يدعى، لكن قل لى أولًا من أين أتيت بذلك المفتاح؟
- سوف أحكى لك كل شىء.
- حسنًا.
- لا، ليس هنا، بل فى الطريق.
قال (حسين) وهو يلملم أشياءه مرة أخرى:
- الآن؟
- نعم، الآن.
- حسنًا.. كما تريد.
قالها وانصرفا إلى سيارة (عبد الحميد).

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فى الطريق حكى (عبد الحميد) له كل شىء منذ دخوله الشقة حتى عثوره على المفتاح، حتى جثة الفتى التي لم يرها.
اتصل (حسين) بالرجل الذي سيذهبان إليه وتأكد من وجوده، وأخبره بقدومهما، ورحب.
أوقف (عبد الحميد) السيارة وسط بركة من الوحل صنعتها بالوعة نشطة، وترجلا حتى وصلا إلى حارة ضيقة.. سيدات عجائز ينظرن إليهما فى تعجب، ويقلن فى سرهن: - الشـائبون أيضًا يأتونك أيهـا الرجـل.. ثم يمصمصن بأفواههن ويكملن ثرثرة.
من الخارج استقبلهم الرجل.
كان اسمه (رضوان).. نحيف، شعره خفيف جدًّا، فى العقد الرابع من عمره.. أفسح لهم مجالًا للدخول، ثم قال مرحبًا: - النور دخل الحارة.
انتظر (عبد الحميد) أن يتنبأ الرجل بسبب قدومهما، لكنه صدمه ولم يفعل.. انتظر أن يجد فحمًا متأججًا، لكنه لم يجد.. انتظر أن يصرخ الرجل بأعلى ما

أوتى من حنجرته: « شخاليل بهاليل شمهورش طارش »، لكنه لم يفعل.. الحق يقال، إنه صدم.
جلس الرجل على الأرض أمامهما، واتكأ على مسند من القطن، قذر بعض الشىء، وأضاف: - يا مرحبًا. خير، إن شاء الله.
قالها فمد (حسين) يديه إلى (عبد الحميد) كى يناوله المفتاح، فأخرجه من جيبه، وناوله إياه، فناوله بدوره إلى الرجل، الذي أخذ يتفحصه، ثم أضاف بصوت واضح: « وبالفتح يا فتاح فافتح قلوبنا، لكشف خفى فى القلوب إذا خفت »!
نظر (حسين) إلى (عبد الحميد) نظرة ذات معنى « ألم أقل لك » ثم قال: - تمام يا حاج (رضوان).. لكن ما معنى هذا؟
اعتدل الرجل فى جلسته ثم قال:
- اعلم أن معنى الفتاح هو الذي يفتح الأبواب الحقيقية ويفيض بالفتح على الجميع.. والفتح على قسمين: فتح علم وفتح كل شيءغامض.
صمت برهة نظر فيها إليهما ثم أضاف:
- والفتاح الذي يفتح مغاليق الملكوت لبصائر أوليائه ويفتح أبواب الرحمة للمؤمنين ويفتح الغيوب.. وحظ العبد منه أن يصبر حتى يفتح له مغاليق المشكلات الإلهية واللطائف العلوية الملكوتية، وأن ييسر الله على فهمه ما يعسر على الخلق من العلوم اللدنية وبواطن الرسالة وأسرار الكتابة.
قالها ثم صمت!
قال (عبد الحميد) وهو ينظر إلى (حسين):
- أنا لم أفهم شيئًا.. هل فهمت أنت؟
أومأ برأسه نافيًا، وأضاف هو هذه المرة:
- حاج (رضوان)، هذا كلام مرسل حمال للمعانى، لم نفهم منه شيئًا.. إذا سمحت فلتفسر لنا أكثر.
اعتدل(رضوان)فى جلسته ثم قال:
- أنت لديك مفتاح يفتح شيئًا تملك به الكثير.
صمت ثم أضاف:
- وهناك شىء كان مغلقًا وخفيًّا، والآن صار مفتوحًا وجليًّا للعيان.
- ما هو؟
- لا أعلم.
قالها (عبد الحميد)، فأجاب بهذه الأخيرة (رضوان)، وأردف: - ابحث مرة أخرى.
قالها ونهض معلنًا عن انتهاء المقابلة.
نهض الاثنان بدورهما وصافحاه وغادرا المكان إلى السيارة.
فى السيارة قال (حسين):
- أعتقد أنه ... مم ... ربما كان قصده أن تعود إلى المكان لتبحث مرة أخرى.

- وهذا الذي استنتجته أنا أيضًا.
قالها وأردف وهو يميل على أذن (حسين):
- سوف أذهب، لكن هذه المرة سوف أحتاجك معي.
∞ ∞ ∞ ∞ ∞
عاد (عبد الحميد) من زيارته تلك للشيخ ومر علىَّ ليخبرنى بكل ما حدث ودار معه.. وكان رأيى مثلهما، العودة إلى مصر القديمة، بالتحديد العودة إلى شقتى.. واتفقنا أن اليوم التالى هو يوم زيارة الشقة مرة أخرى، لكن هذه المرة سنصحب معنا زائرًا ثالثًا، زائرًا خبيرًا فى اللغات، هو الدكتور (حسين الصياد).
∞ ∞ ∞ ∞ ∞
- ٢ -
على باب المنزل تقابل ثلاثتنا.
أنا والدكتور (عبد الحميد) والدكتور (حسين).. بالطبع تقدمتهما لأن مفتاح الشقة معى.. أضأت النور الخاص بالدَّرَج، وصعدنا حتى وصلنا إلى الشقة.. فتحت الباب وتدفقنا إلى الداخل.
شق (عبد الحميد) طريقه نحو الغرفة إياها، وفتحها وأضاء المصباح الكهربى ووقف أمام خزانة الثياب وهو يقول: - ها هنا.
قالها وهو ينظر إلى داخل الخزانة، ثم صمت برهة ليدقق النظر أكثر.. هنا لمح بعض الحروف المحفورة على الخشب ذاته داخل الخزانة.. والغريب أن تلك النقوش لم تكن موجودة من قبل.. سار بيده على الحفر، ثم أمسك بكل الثياب دفعة واحدة وأخرجها من الخزانة وألقى بها على الفراش، كى يفسح لنفسه ولنا مجالًا للرؤية.
لا بد أننا وقفنا بلا حراك نصف ساعة أو أكثر..
لا بد أن أقدامهم لم يشعروا بها مثلى..
لا بد أن معالم الغباء ارتسمت على وجهى ووجه (عبد الحميد)، فى حين وضع (حسين) يده على النقوش، وبدأ بعدسته يسير حتى وصل إلى شق بالطول داخل ظهر الخزانة!
كنا قد وقفنا الآن أمام باب سرى فى ظهر الخزانة!
قلت مبهورًا بعد أن فغرت فاهى:
- ما هذا؟! كأننا فى فيلم من أفلام هوليوود، لكن مساحة الشقة ...
قال (عبد الحميد) وهو يشير إلى الخشب:
- معك حق، لكن لا بد أن هذا قد ظهر حينما علمنا ما كان منقوشًا على المفتاح.. فذلك الرجل المخبول قد قال لى أن أعود أدراجى وأبحث مرة أخرى.. وها قد ظهر ما كان خفيًّا.
قال (حسين) موجهًا كلامه إلى (عبد الحميد):

- ألم يحدث معك فى بعض الأحيان أنك فتحت محفظتك لتخرج منها بعض النقود ولم تجد النقود، على الرغم من أنك تقسم إنها كانت هناك وإنك كنت واضعًا إياها بنفسك داخلها، وبعد قليل تفتح المحفظة فتجد النقود؟!
نظر إليه (عبد الحميد) غير فاهم لكنه أجاب ماطًّا شفتيه: - نعم، بالفعل حدث معى هذا كثيرًا.
فأضاف (حسين) موضحًا ما يريد قوله والشاهد من حديثه هذا: - أعتقد أن هذا سحر جلى، ربما سحر كالذي يفعله السحرة على خشبة مسارحهم، يلوحون لك بشىء كى تنتبه إليه ثم يخفون ما يودون إخفاءه.
قال ما قال فأردفت أنا مضيفًا سحرى الخاص:
- تقصد: سحر تخييل.
نظر لى وهز رأسه بفخر مؤيدًا، لأننى بالطبع أيدت حديثه، ثم أضاف وهو لم يرفع عينيه عن عينى، شارحًا لى، كتلميذ نجيب مميز يحبه معلمه ويحسب أنه نابغة فيظل ناظرًا إلى عينيه طوال الحصة كأنه الوحيد فى المجموعة: - هذا ما حدث هنا، فمساحة الغرفة تم الاقتصاص منها كى تكون هناك غرفة أصغر بكثير، ربما متر فى متر. وهذه النقوش لم تكن لتظهر إلا بظهور هذا المفتاح وبتفسير ما كان عليه من نقوش.
صمت برهة، ثم قال:
- أما النقوش فبصدق لا أعلم ما الذي تعنيه.
نظر إليه (عبد الحميد) وكاد أن يصفعه على خده، مضيفًا: إذن لماذا أنت هنا، أو ما هى وظيفتك أيها الرجل، أو عد إلى الداهية التي أتيت لنا منها.. لكنه اكتفى بأن رمقه بنظرة نارية، احمرت لها وجنتاه، فأضاف خجلًا: - هل أكذب؟! حقيقة لا أعلم.. هى مجرد أسماء للجن!
قالها وهو يشوح بيديه كأنه يحضر عفريتًا:
- أشماخ هفلطوش هيلوش!!
قال ما قال وسط نظراتنا إليه فى حنق واضح، لكنه أضاف: - لكن، والحق يقال، هنالك آية مكتوبة كذلك، تقول: « يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّماواتِ والأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ».
- لا إله إلا الله..
قلتها وأردفت:
- أشعر أن الأمر بدأ يكبر.. فقديمًا قالوا إن المعرفة على قدر الحاجة.. ونحن الآن نبحث فى شىء لا نحتاجه.
- بل نحتاجه.
قالها (عبد الحميد)، وأضاف:
- هذا كشف لا شك فى ذلك. هذا أولًا.. ثانيًا: هذه شقتك، ولا بد أن تعرف ما بها، وإلا فلن تؤجرها إلى الأبد ولن تسكنها إلى الأبد.

قالها وهو يمد يده ويضع المفتاح فى ثقبه الخاص داخل الجدار الخشبى الخاص بظهر الخزانة، ثم أداره مرتين، وانفتح الباب!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

انفتح الباب ليفصح عن مكتبة صغيرة فى الحائط تحوى الكثير من المجلدات والكتب، والشموع وبعض الأوراق، وفى الركن الأيسر من المكتبة كان هناك صندوق صغير أسود اللون، اتجهت أنا إليه وحملته.. كان ثقيلًا جدًّا إن أردت رأيى، لهذا وضعته على الأرض سريعًا!

قال (عبد الحميد) سريعًا وهو يحاول حمله وفتحه: - ما بك؟! لا يبدو ثقيلًا إلى ذلك الحـ ....

قالها وابتسم فى بلاهة لعدم استطاعته ذلك، ثم صمت إلى الأبد.

قال (حسين) وهو يلتفت إلينا ليرى ماذا نفعل:

- ربما كان لا بد من استعمال ذات المفتاح.

قالها وهو يدس المفتاح فى ثقب الصندوق، الذي دار فى سهولة، وانفتح عن آخره!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

انفتح الصندوق ليفصح عن خاتم.. خاتم قديم بنى اللون منقوش عليه بعض النقوش الغريبة، وعلى بقيته كتبت تلك الآية: « وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ».

حرر (عبد الحميد) الخاتم من صندوقه، وبعين خبير راح يفحصه وهو يقول: - هذا حجر سليمان.. إنه حجر نادر جدًّا، لكن قدم الخاتم جعله أقرب إلى اللون البنى المحروق.. أما النقوش ... مممم ...

قالها ثم لم يفهم شيئًا فناوله إلى (حسين) وهو يضيف: - حقيقة لا أعلم.

تناوله (حسين) الذي أخذ يعيد فحصه ويتمتم:

- يبدو كأنه « كرتمو شلخ جلتمو شلخ!.. عيطوش ليطوش لطوش! »

صمت ثم أردف:

- هذا خاتم به طلسم خاص بشىء ما للاستخدام فى السحر السفلى.

قالها ثم أضاف:

- ومن المؤكد أن معه خادمًا من الجن، مسخرًا لخدمة صاحب الخاتم.. فهذه النقوش وهذه الكلمات سريانية.. فى الأغلب الأعم هى أسماء استدعاء أو تلبية..

وكذلك تلك الآية لماذا اختارها بالذات ووضعها على جدار الخاتم؟!

تدخلت أنا قائلًا:

- لقد سمعت عن حجر سليمان هذا من قبل، لكن هل يجوز وضع طلاسم مع نص قرآنى؟! ثم إن سيدنا سليمان لم يستخدم الجن أو يستعملهم عن طريق السحر.. فما أعرفه أن الملائكة كانت تقوم باقتياد الجان لسليمان بزواجر من

نار، وكان النبى سـليمان يوقع بهم أشـد العـذاب إذا ما تقاعسوا فى تنفيـذ أوامره إليهم، ولم يستخدمهم لشر أو لسبيل شر حتى، ولذلك قال سبحانه وتعالى: « وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ».
نظر إلى قائلًا:
- أنا لست شيخًا أو ساحرًا يا صديقى، فأنا أصف ما هو أمامى فقط.
ابتسم (عبد الحميد) مقاطعًا إيانا بعد أن تناول الخاتم من (حسين): - فقط لنرتب أفكارنا أيها السادة. لنقل إذن أن ما بحوزتنا الآن هو خاتم سليمان؟!
- بالطبع لا، فلم أقل ذلك.. لقد قلت إن الحجر الموضوع داخل ثنايا الخاتم حجر سليمان، أما خاتم سليمان فهذا فيه أقوال كثيرة.
- نعم نعم أنا أفهم ما ترنو إليه.
قلتها أنا لهما، وتناولت الخاتم، ووضعته فى أصبعى سريعًا، وأضفت: - إن هذا فى شقتى، إذن هو ملك لى.. لكن دعونا من هذا النقاش الآن، ولنبحث عن أى شىء آخر فى تلك الفجوة.
بعد نصف ساعة أخرى من البحث، لم نتوصل فيها إلى أى شىء آخر، قلت مرهقًا: - إذن لا شىء آخر.. مجرد مكتبة تحوى الكثير من كتب السحر.
قلتها وأنا أخرج من إحدى الغرف، وهما يتبعاننى.
قال عبد الحميد وهو يجلس على مقعد بال:
- لكن لماذا يخاف عليها إلى ذلك الحد، أقصد تلك المكتبة.. إنه يعاملها كالمقابر الأثرية حين توصدها الفراعنة كى لا يدخلها اللصوص.
جلس (حسين) على كتف المقعد الذي يجلس عليه (عبد الحميد) وقال بعد أن عَدل من عويناته: - ربما لحفظ ذلك الخاتم وتلك الكتب..
بعد أن صمت برهة أضاف كأنه غير قانع:
- لكن معظمها موجود على صفحات الإنترنت وسهل تحميله!
فقلت:
- دكتور (حسين)، إن الكتب عامة، وكتب السحر خاصة، قيمتها فى امتلاكها بين يديك، لا وجودها على حاسوبك.. ثم إن معظم تلك الكتب محرفة عن أصلها، وربما ليست هى أساسًا، لذا فمن الممكن أن تكون تلك الكتب هى الأمهات، هى الأصل، لذا لها قيمتها.. واسألنى أنا عن قيمة الأشياء.
أضاف (عبد الحميد) كى يؤيد حديثى هذا:
- حقيقة كلام معقول.. فالكتب والمكتبات تحديدًا لها قيمتها منذ فجر التاريخ.. خذ عندك مثلًا الوزير الأفضل بن بدر الجمالى كان له مكتبة حوت خمسمائة ألف مجلد عثر عليها بعد مقتله فى عهد الخليفة الآمر بأحكام الله، وقد حرص فى فترته على منع بيع الكتب وتصديرها إلى خارج البلاد.. ومكتبة برجوان الوزير.. ومكتبة القاضى الفاضل الذي كان له من الكتاب الواحد ما يفوق خمسًا وثلاثين نسخة، وقالوا إنها كانت تحوى مليونًا وأربعين ألف مجلد، وحين وقعت مجاعة بيع الكتاب مقابل رغيف من الخبز.. وغيرهم الكثير والكثير من

الرسميين المعروفين ومن الأفراد غير الرسميين غير المعروفين، الذين حرصوا على اقتناء الكتب الأصلية.. فكان القاضى ينتشل الكتب الخاصة بالفاطميين من البحر حين أمر صلاح الدين بإغراقها، ويجففها ويصلح من شأنها ويحتفظ بها فى مكتبته.
قال ما قال، ثم نهض وتبعناه.. بحثنا بعدها طويلًا ولم نجد شيئًا.. تنهد (عبد الحميد) وذهب إلى باب الشقة وهو يقول: - إذن هذا كل شىء يا سادة.
تقدمت أنا وفتحـت باب الشـقة شـاكرًا إياهما على تعبهما معى، وواعدًا (عبد الحميد) بأن أحضر معه الرحلة التي علمت أن (حسين) سوف يكون فيها.
وهكذا انصرفنا، وأغلقت باب الشقة، ولم أنو تأجيرها، واحتفظت بالخاتم معى.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

رحلة ليست سعيدة

ـ ١ -

صباح يوم الجمعة كنت قد أعددت كل شىء ووقفت أنتظر (عبد الحميد)، الذي مر على وانطلقنا بسيارتى إلى حيث الحافلة التي كانت تنتظرنا فى ميدان رمسيس.

صعدنا إلى الحافلة وجلست فى مقعد إلى جوار (عبد الحميد)، وانطلقت الحافلة وسـمعت صـوتًا يقـول فى مكبـر الصـوت الخـاص بالحافلة: « إلى القلعة »!

ابتسم (عبد الحميد) وهو يضيف ببلاهة:

- ستكون رحلة ممتعة.

نظرت له أنا فى عدم فهم، وسألته فى تعجب:

- القلعة؟!

- نعم.

- تقصد قلعة محمد على؟!

- نعم هى.. لماذا أنت مندهش هكذا؟

- لأننى لو كنت أعلم لما جئت معك أيها المعتوه.. وهل أنا أنتظر هذه الرحلة لأزور القلعة التي قتلتها بحثًا؟!

ثم ما الداعى للحافلة وقد كان يمكننا إكمال الطريق بسيارتى؟!

أجاب مبتسمًا:

- لن يحقق هذا جو الألفة والترابط، وهو مقصد تلك الرحلة، الألفة وخلق جو من الترابط الأسرى بين الأساتذة.. ثم إننا لن نقتصر فى زيارتنا على القلعة فقط، بل سنذهب إلى الأهرامات أيضًا.

- وما ذنبى أنا؟

- ذنبك أنك لم تخرج معى من قبل. وأود أن أعرفك إلى أصدقائى من الأساتذة المرموقين.

صَمَتُّ ثم أضاف وهو شارد الذهن كى يعطى لحديثه قيمة: - إن معرفة الناس، كما يقولون، كنووز.

صمت و« وضعت حذاء فى فمى »، ثم تمتمت:

- والحقيبة التي جلست أسبوعًا أجهز فيها؟! لقد كنت على وشك وضع

(رجب) البواب داخلها.

كدت أبكى، لكننى، كما قلت، صمت، ونمت.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

لم أنم سوى دقائق بالطبع ونهضت ورأسى يترجرج كالبالون الملىء بالمياه. كنا قد وصلنا إلى البناء العتيق المهيب، قلعة محمد على وصلاح الدين، لكن

سننسبها لصلاح الدين هنا لأنه هو من بناها.
نزلنا من الحافلة، وتوجهنا إلى طريق غير ممهد، وبعده دلفنا إلى داخل القلعة..
توقف (عبد الحميد)، وأوقف الجمع الحاضر بأزواجه وزوجاته وأبنائه، وقال وقد اتخذ وضع المرشد السياحى للجمع: - نحن الآن فى قبة الهواء، كما كانوا يطلقون عليها قديمًا، أيها السادة، وسوف أخبركم بتاريخها حالًا.
قال ما قال، والتف حولنا بعض الناس من خارج الجمع ومن الزائرين الفضوليين، فهى بالنسبة لهم حصة ومحاضرة تاريخية بلا مقابل..
أضاف (عبد الحميد) بعد أن سار بضع خطوات أخرى ومر من بوابات العبور، وتوقف أمام « منطقة حفريات »، كما كتب على لافتة قماشية معلقة: - ما زلنا حتى الآن نعمل هنا علنا نعثر على الجديد، أيها السادة.. فما زال الزمان يأتينا بكل جديد.
قالها وتقدم حتى وصل إلى ممر من الحجر ثم أضاف:
- لقد أمر صلاح الدين الأيوبى أول سلاطين الدولة الأيوبية الأمير بهاء الدين قراقوش الأسدى ببناء هذه القلعة، وكانوا يسمونها قديمًا قلعة الجبل، فوق جبل المقطم فى مكان يشرف على القاهرة فى الجهة البحرية، والمقابر أو القرافة فى الجهة القبلية الغربية، والنيل من جهة الغرب، وجبل المقطم خلفها فى الجهة الشرقية.
قالها وتقدم بضع خطوات أخرى حتى توقف أمام منجنيق يقبع على اليمين بعد المرور من البوابة، فتوقف الجمع بدوره ليلتقطوا أنفاسهم ويشربوا الماء المثلج، لأن الجو حار بالفعل، ثم أضاف مشيرًا إلى مبنى القلعة: - المكان الذي تم فيه بناء القلعة، كما قلت، يحتوى على مقابر ومساجد، وكان أسفله ميدان اسمه ميدان أحمد بن طولون.
وسبب بناء صلاح الدين للقلعة أنه كان خائفًا من الشيعة بعد أن قضى على الدولة الفاطمية لأنه سكن دار الوزارة فى القاهرة، وبهذا كانت مصر متاحة أمام الشيعة الفاطمية.. هنا فكر فى بناء حصن حصين لنفسه لا يقدر أحد على اقتحامه.
ومن هنا رأى أن الحصن يجب أن يكون على جبل المقطم، ذلك الجبل العظيم المهيب، فطلب من الأمير بهاء الدين قراقوش الأسدى تشييد القلعة، وبنى فى البداية سور القاهرة حتى يحيط بالقلعة و القاهرة.
بالطبع كان لهذه العملية الكثير من السلبيات، فعملية البناء أدت إلى إزالة مساجد و مقابر قديمة كانت فى المنطقة.
كما أنه وللأسف استخدم فى البناء حجارة كانت خاصة ببعض من الأهرامات الصغيرة كانت موجودة وقتها فى الجيزة.
ويقولون إن قراقوش هذا قد استخدم فى بناء هذا الصرح الأسرى والسجناء..
وما لا يعرفه الكثيرون أن صلاح الدين توفى قبل أن ينتهى ذلك المشروع،

وتم إهماله، حتى أتى الملك الكامل بن العادل فى مصر فأكمل التشييد واستقر بها.
صمت (عبد الحميد) وأخذ يسير حتى دخلنا إلى المتحف الشرطى، وهكذا أخذنا جولة رائعة داخل المتحف، وأخذ (عبد الحميد) يحكى لنا عن تاريخ كل شىء وكل صورة بأفضل ما يمكن، فهو يتقن عمله ويحبه بحق، حتى فرغنا وجلس الجميع داخل كافيه فى أعلى بقعة داخل القلعة..
المنظر كان بديعًا بصدق.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

- ٢ -

جلسنا جميعًا لنلتقط الأنفـاس ونحتسى القهوة ونتناول وجبات خفيفة.. كل أسرة اجتمعت على مائدة، وجلس ثلاثتنا أنا و(عبد الحميد) ودكتور (حسين) على طاولة وحدنا..
الحقيقة أننى كنت مخطئًا فى أننى زرت القلعة كثيرًا.. الحق يقال، إن هذه المرة مختلفة تمامًا.. إن وجـود مرشـد سـياحى معـك خاصـة إن كان مثل (عبد الحميد) لهو فى حد ذاته متعة لا تصدق، فهو يقص عليك الحقيقة التي لا تعرفها، يقص عليك تاريخ كل شىء، يفسر لك أى شىء كنت تمر عليه مرور الكرام دون حتى أن تسأل عن سببه أو تاريخه.
قلت وأنا ألتهم شطيرتى موجهًا كلامى لـ (عبد الحميد) و (حسين) وقد شرد كل منهما فى عوالمه: - بينى وبينكم.. لم أتخيل أن الرحلة سوف تكون ممتعة كما هى الآن.. حقيقة أنا مستمتع، ولم أكن أتخيل أن هناك الكثير لا أعرفه.
ابتسم (عبد الحميد) وهو ينظر إلى (حسين) الذي أضاف: - دكتور (عبد الحميد) علامة فى التاريخ.
اتسعت ابتسامة (عبد الحميد) وأضاف فى شمم:
- يا سادة أنا أقرأ فى اليوم الواحد ثلاثمائة صفحة.. أنا أعشق التاريخ. وددت لو أننى عرفت تاريخ كل شىء، لكن سنى قد كبرت وصرت، حقيقة، لا أقـدر.
قالها ثم صمت برهة، فقلت كى أغير الموضوع بدلًا من تلك الدراما: - أنت قامة كبيرة فى التاريخ يا رجل، وبحق، لقد تمنيت اليوم تحديدًا أن أكون مثلك.. صدقنى.. فأنت موسوعة تاريخية متنقلة.. صدقنى.
قلتها ونهضت ملسوعًا، وأمسكت بالخاتم الذي أرتديه وصرخت.. حاولت نزعه، لكنه كان ضيقًا، ضيقًا بما يكفى لقطع أصبعى أولًا ثم تحريره.. نظر لى الجمع كأننى مجنون، وتبادلوا النظرات، فأضاف (عبد الحميد) فزعًا: - ما بك يا رجل؟
أضفت ممسكًا بأصبعى وبالخاتم:
- لقد حدث شىء غريب: الخاتم زادت حرارته، وصار كجمرة النار، وألهب أصبعى.. حاولت تحريره من أصبعى، لكنه أبى.. لكن كل شىء عاد لطبيعته

والحمد لله.
- الحمد لله.
قالها (حسين)، لكن (عبد الحميد) كان فى عالم آخر لأنه نهض وأمسك بكف يدى وأخذ يتأمل الخاتم، وكاد أن يضيف شيئًا لولا أن تركتهما وذهبت إلى الحمام معتذرًا فمثانتى بالفعل كانت قد امتلأت عن آخرها.
كنت أحاول خلال طريقى إلى الحمام أن أنزع الخاتم، لكنه كان يأبى تمامًا، وكأنه صار جزءًا من أصبعى!
وصلت إلى الحمام، وفتحت الصنبور، ووضعت كف يدى أسفله حتى هدأت تمامًا.. غسلت وجهى بالمياه.. لكن ...
لحظة!
هذا ليس أنا!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

احتجت إلى خمس دقائق كاملة كى أستوعب الموقف الذي وجدت نفسى فيه حين فتحت عينى..
دلف رجل من الجمع وحيانى قائلًا:
- دكتور، لقد استفدت منك الكثير.
نظرت إليه، وعدت بنظرى إلى مرآة الحمام..
أنا لست أنا!
لقد صرت (عبد الحميد)!
بدانته، ولحيته.. فقط العوينات ليست على أنفى!
وملابسى صارت ملابسه!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

نظرت حولى فزعًا، وأخرجت هاتفى من جيبى.. لكنه ليس هاتفى.. إنه هاتفه هو!
الرؤية ليست واضحة!
تراجعت إلى الخلف وكاد الهاتف أن يسقط من يدى، لكننى أمسكت به وألصقت ظهرى بأحد الأبواب، ودققت النظر أكثر.. لقد ضعفت عينى!
هنا وضعت يدى على جيب سترتى العلوية.. العوينات.. أخرجتها منها ووضعتها على أنفى فتحسنت الرؤية!
لقد صرت (عبد الحميد) تمامًا بشحمه ولحمه!
نظرت إلى الهاتف هذه المرة، وفتحته..
كيف عرفت كلمة السر؟ لا أعلم.. لكننى فعلت..
بحثت حتى وجدت رقمى أنا (إبراهيم فتحى) وحاولت الاتصال فكان الهاتف مغلقًا..
بحثت عن رقم (حسين)..
لكن ما كان اسمه؟

نعم.. (د/ حسين ال ... الصياد).. نعم هو ذا.
طلبت رقمه، وانتظرت.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فى تلك اللحظات كان (عبد الحميد) يجلس وأمامه (حسين) يتبادلان أطراف الحديث عندما دق جرس الهاتف الخاص بـ (حسين).
توقف عن الحديث بعد أن اعتذر ووضع يديه فى جيب بنطاله وأخرج هاتفه الصغير، وكانت الدهشة!
فقد ظهر على شاشته اسم الدكتور (عبد الحميد)!
نظر إلى الشاشة وحدق فيها، ثم نظر إلى (عبد الحميد)، جلس لثوان يبادل النظر بين الشاشة وبين (عبد الحميد) الجالس أمامه، ثم أضاف: - أين هاتفك؟
قالها لـ (عبد الحميد) الذي كان شاردًا، وانتبه له، فسأله: - ماذا هناك؟
- هل هاتفك معك؟
كان سؤالًا غريبًا، لكن (عبد الحميد) بحث فى جيوبه، ثم فى جيب سترته العلوية، فوجده.
رفعه إلى الأمام كى يريه (حسين)، الذي تناوله منه، وهو ينظر فى شاشته، ثم أضاف: - كيف إذن يتصل بى؟!
قالها وضغط زر الاستجابة ووضع الهاتف على أذنيه وأضاف باستغراب: - من؟!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

انتظرت طويلًا حتى أجابنى (حسين).
أضفت بصوت منخفض، واضعًا يدى اليسرى على فمى حتى لا يسمعنى أحد:
- دكتور (حسين)، أنا (إبراهيم فتحى).. لقد حدث أمر عجيب خارج عن العقل والمنطق.. لذا أريدك.. أريدك فى الحمام أنت و(عبد الحميد) فورًا.
قلتها وأغلقت الهاتف، ووضعته فى جيبى وانتظرت.
هنا يجب أن أوضح أمرًا هامًّا، لقد كان صوتى هو صوت الدكتور (عبد الحميد) ذاته! لذا كان دكتور (حسين) فى موقف لا يحسد عليه.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أنزل (حسين) الهاتف عن أذنه، وأضاف مذهولًا:
- هناك من يدعى أنه (إبراهيم فتحى) صديقك، ويقول إنه ينتظرنا فى الحمام.
صمت برهة، ثم أضاف:
- الغريب أن صوته هو صوتك كأننى أتحدث إليك بالفعل، ورقمه هو رقمك.
فقد ظهر اسمك على شاشة الهاتف.
قالها ثم أردف:
- لقد كان أنت يا رجل!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فى هذه اللحظات كنت أنا أقف مواريًا وجهى حتى خرج أحدهم من الحمام..
نظر إلى قائلًا: - دكتور، كيف حالك؟ لقد وددتُ أن أسألك سؤالًا مهمًّا خطر ببالى عن فترة المماليك الشراكسة: هل السلطان قنصوه الغورى اغتيل أم إنه قتل تحت سنابك الخيل فى ...
نظرت إليه، مقاطعًا بقية سؤاله:
- سيدى الفاضل.. أنا أشعر بالإرهاق.. سوف أجيبك لاحقًا.
نظر لى الرجل نظرة ذات معنى، ثم ولى مدبرًا وهو يتمتم بكلمات غير مفهومة لم أتبين منها سوى « سيدى الفاضل ».

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

نهض (عبد الحميد) قائلًا:
- حسنًا.. فلنذهب إليه ولنر ما الأمر.
نهض (حسين) بدوره، واتجها إلى الحمام حيث أنتظرهما.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

دلف الاثنان إلى الحمام خلف بعضهما، وما إن رآني (عبد الحميد) حتى ارتعدت فرائصه، ووقف صامتًا كأن الكهرباء قد صعقته أو أن جنيًّا قد مسه.
أما (حسين) فوقف ينظر إلى كلينا، ثم أضاف بتلعثم:
- من؟.. كيف؟.. من أنت؟!
- أنا (إبراهيم فتحى)!
قلتها ودنوت من (عبد الحميد) الذي ما إن اقتربت منه حتى انتفض عائدًا إلى الخلف وكأن ثعبانًا قد لدغه وقال وهو يبعد كلتا يدى عن جسده متحاشيًا إياى:
- لا لا.. من أنت؟!
قالها ثم أضاف فى فزع:
- أنت جنى.. أليس كذلك؟!
- بالطبع ليس كذلك.. أنا (إبراهيم فتحى).
قلتها ثم أضفت مهدئًا من روعه:
- (عبد الحميد)، هذا أنا (إبراهيم)، كنت معكما منذ دقائق، ودلفت إلى الحمام لأن الخاتم قد ...
هنا تذكرت شيئًا.. الخاتم!
لذا أضفت وأنا ألوح إليهما بالخاتم:
- أعتقد أن هذا هو سبب كل شىء.
أمسك (حسين) بيدى، وتحسس الخاتم قائلًا:
- لا بد أن هنالك سرًّا.
تقدم (عبد الحميد)، بعد أن هدأ، وقال:
- لكن ...
- ليس هناك لكن.. أولًا: لا بد ألا نظهر سويًّا حتى ...
هنا دلف أحد الزوار، فدلفت إلى الحمام وأغلقت الباب فى سرعة.

دقيقة، وسمعت صوت الباب يفتح، وخرج الزائر، فخرجت من الحمام وأنا أضيف فى سرعة: - يجب أن نغادر المكان الآن ونتحدث فى مكان آخر لا يرانا فيه أحد.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ـ٣ـ

فى منزلى جلسنا نتحدث ونبحث سويًّا عن حل.
لك أن تتخيل ذلك..
كاد (عبد الحميد) أن يجن، وصاح فى غيظ:
- كيف حدث هذا؟! كيف صرت أنا؟!
نظر (حسين) إليه وقال:
- اهدأ يا دكتور.. لا بد أن نهدأ جميعنا كى نفكر ونجد تفسيرًا.
وقلت أنا:
- لا بد أن نعرض الأمر على مختص فى تلك الأمور.. شيخ.. أو شىء من هذا القبيل.
صمت ثم أضفت وقد بدأت الأفكار تتدفق إلى رأسى فى نقاط منظمة نوعًا: - أعتقد أن الخاتم هو السبب فيما أنا فيه.
قلتها ثم وجهت حديثى إلى (عبد الحميد) وقلت:
- لقد ذكرت لك إنك قامة كبيرة فى التاريخ، وإننى تمنيت اليوم، واليوم تحديدًا، أن أكون مثلك.
قلتها ثم أضفت:
- لقد تمنيت أن أصير أنت (عبد الحميد)، وصرت أنت بالفعل، وصرت أعرف ما تعرف.. حتى ملابسك.. صوتك.. هاتفك.. كل شىء.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أمسك (عبد الحميد) أعصابه، وقال:
- هل أنت تعى وتصدق ما تقول؟
- وهل تصدق أنت ما نحن فيه الآن؟
كنت أكره أن أكون صادقًا وفى الوقت ذاته كنت أكره أن أكون كاذبًا.. أنت تعرف تلك الأوقات، التي تكون فيها مضطربًا.
نظر (حسين) إلى قائلًا:
- معك حق، لكن كيف سنتصرف الآن، وكيف ستحيا هكذا أنت وهو؟
- نفكر.
قالها (عبد الحميد)، ثم أضاف وهو يدخن لفافة تبغ كأنه يأكلها وقد أخذ يذهب ويجىء كالأسد فى حديقة الحيوان: - لا بد أن نذهب إلى ذلك الشيخ، الذي ذهبنا له من قبل أنا و(حسين)، لنسأله.. ولتبق أنت هنا، ولا تبرح مكانك حتى لا يراك أحد.

- حسنًا.. سوف أفعل.
قلتها وأضفت:
- لكن لا تتأخرا.
قلتها وخرج الاثنان فى طريقهما إلى الشيخ (رضوان).
∞ ∞ ∞ ∞ ∞
أوقف (عبد الحميد) السيارة وسط بركة الوحل التي صنعتها البالوعة النشطة، وترجلا حتى وصلا إلى الحارة الضيقة..
السيدات العجائز ما زلن يمصمصن بأفواههن ويكملن ثرثرة.
دلفا إلى الداخل دون أن ينتظرا إذنًا من الحاج (رضوان)، الذي نهض وترك ما كان يفعل، واتجه إليهما.
ارتبك (حسين)، وقال:
- نعتذر عن عدم أخذ موعد سابق، لكن الأمر جد خطير.
جلس (رضوان) وأشار لهما بالجلوس، وقال:
- لا عليكما.. تفضلا..
ما الأمر؟
كاد (حسين) أن يتحدث، لولا أن قاطعه (عبد الحميد) قائلًا: - لقد صار هناك (عبد الحميد) آخر.
∞ ∞ ∞ ∞ ∞
فى ذلك الوقت كنت أنا أجلس فى الشقة أحاول نزع الخاتم من أصبعى، لكنه أبى وباءت كل محاولاتى بالفشل الذريع.. ودق جرس الباب.
ذهبت لأفتح، لكننى توقفت للحظة تذكرت فيها أننى لست أنا.
لذا نظرت عبر عدسة الباب، فوجدت (سعيد) يقف بملامحه العجيبة.. ما الذي جاء به الآن؟!
حقيقى أننى أريد مقابلته منذ زمن، لكن ليس الآن.
لذا قررت ألا أفتح الباب له، واستدرت مغادرًا الباب، لولا أننى اصطدمت بذلك العمود الذي يحمل آخره مزهرية ضخمة لم تتحمل تلك الرقصة وهوت على الأرض حتى صارت 4673425 قطعة.
سمعته من الخارج يسبنى.. إذن لا خيار.
هو يعرف دكتور (عبد الحميد)، لكن معرفة سطحية، لذا لن يطيل الحديث معه، لذا فتحت له متظاهرًا بالنعاس.
بعد أن فتحت له أخذ ينظر حوله حتى يتأكد من رقم الشقة وأنه لم يخطئ، ثم قال: - عذرًا.. لكن أليست هذه شقة الأستاذ (إبراهيم فتحى) المحامى؟
أجبته قائلًا:
- نعم هى. و ...
هنا قاطعنى وهو يحدق فى بلا انقطاع:
- أنت دكتور (عبد الحميد الششتاوى).. أليس كذلك؟

- نعم أنا هو.
- لكن أين (إبراهيم)؟
- هو ...
- لا بد أنه فى مشوار.. أليس كذلك.. لكن لماذا تجلس فى شقته؟
- أعتقد أنك إن صمت لأجبتك على تلك الأسئلة.
حقيقة لم أكن أملك إجابة واحدة على أى سؤال منها، لكننى أضفت مرتبكًا: - يا (سعيد) ... (وهذا كان أول خطأ، فكيف لى أن أناديه باسمه هكذا وكيف لى أن أتذكره، لكننى تداركت خطئى) ... أنت أستاذ (سعيد).. أليس كذلك؟.. نعم أنت هو.. يا أستاذ (سعيد)، هو قد سافر، وترك لى الشقة لحين عودته.. فأنت تعلم أن اللصوص كُثر هذه الأيام، وأن الجبن مصنوع من اللبن واللبن من الجاموس..
قلت ما قلت وأنا أدفعه دفعًا إلى الانصراف، لذا وقف على الدرج وهز رأسه كالأبله متفهمًا، وقال: - حسنًا.. على كل حال سوف أتصل به وسوف أعود عندما يأتى.. شكرًا لك.
تقدم خطوتين، ثم عاد مرة أخرى ليقول:
- لو احتجت منى شيئًا أرجو منك ألا تتردد فى الاتصال بى.
هززت رأسى متفهمًا، ثم أغلقت الباب.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

على الباب وقف (سعيد) يفكر ويتحدث إلى نفسه التي أبت أن تصدقنى، فأنا أعرفه جيدًا، ثم أخرج هاتفه ليطلبنى. وهنا الخطأ الثانى: الهاتف الذي لا أعرف أين كان ولا متى جاء إلى هنا كان موضوعًا على المنضدة وأخذ يدق بلا هوادة وصوته أيقظ الموتى فى قبورهم.
هرعت إلى الداخل باحثًا عنه من مصدر صوته، وأغلقته إلى الأبد.
بالطبع كان (سعيد) واضعًا أذنيه على الباب كى يصغى السمع، وسمع صوت الهاتف.
هنا سمعت صراخه من الخارج، صراخه الذي فتحت الباب بسرعة كى أوقفه.. كان أقرب إلى الثور الهائج وأخذ الزبد يتطاير من فمه.. أمسكته من معصمه، وأدخلته وأنا أنظر إلى الدَّرَج إلى أسفل وإلى أعلى، وأغلقت الباب.
- سوف أقص عليك كل شىء.
قلتها له وأنا أضع يدى على رأسى.
ورحت أحكى له كل شىء منذ رد الشقة لى وتمكينى منها حتى تلك اللحظة.
بالطبع كان غير مصدق.. على وجهه ارتسمت البلاهة وتدلى فكه إلى أسفل وأخذ يبتسم.
بالطبع أخذت أقص عليه ذكريات لا يعرفها سوانا أنا وهو، حتى بدأ يهدأ ويصدق.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بعد أن انتهيت قال وهو ينظر إلى الخاتم إياه:
- إذن هذا هو السبب فيما أنت فيه.. إذن تمن لى أن تأتينى أموال من حيث لا أدرى.
قالها وأخذ يؤدى حركات تمثيلية بيديه وهو يضيف:
- أريد أن يأتينى المال.. أحدهم يدق الباب ويأتينى به.
نظرت إليه وأضفت:
- أرأيت؟! أنا فى مأزق وتطلب أنت مالًا!
سألنى وهو يمسك يدى:
- هل جربت الصابون؟
- حقيقة لم أفعل.
- إذن هيا.
قالها ودلفنا إلى المطبخ.. أمسك زجاجة من الصابون السائل، وسكبها فوق أصبعى وكفى بأكملها، وبدأ فى محاولة لتحرير الخاتم، حتى تحرر بالفعل.
أمسك الخاتم بيده، وأخذ يتأمله.
أما أنا فأخذت أتأوه.
- كيف لم أفكر فى تلك الفكرة البلهاء من قبل؟
قال وهو ما زال يتأمل الخاتم:
- لأنك قدرت أن الخاتم لن يتم نزعه، لذا لم تحاول.
- بالفعل هذا ما حدث.. لقد قدرت هذا.. قدرت أنه ما دام الموضوع خارقًا فلن يخرج الخاتم من أصبعى إلى الأبد.
نظر لى وأخذ يحدق فى وجهى وأنا أتحدث إليه وعلى وجهه علامات الذهول.
ثم أشار إلى، وهو يقول:
- وجهك ... لقد ... أنت (إبراهيم)!
نظرت إلى المرآة فوجدت وجهى قد عاد إلى وضعه الطبيعى.
لقد عاد (إبراهيم) إلى (إبراهيم)!
تبادلنا النظر أنا وهو، ثم نظرنا إلى الخاتم وبدأنا نترجم كل شىء وبدأت الخيوط تتشابك مع بعضها.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

سعيـــد

ـ ١ -

أمسك (سعيد) بالخاتم وأخذ يقلبه بين راحتيه، ويقلب ما قلته فى عقله، ثم قال وهو يشير إلى بالخاتم: - إذن فهذا الخاتم يعد كخاتم سليمان.
- ليس تحديدًا.. هذا حجر سليمان.. أما خاتم سليمان، حسب المعتقدات اليهودية، خاتم كان يملكه النبى سليمان، ويقولون إنه هو من أعطاه الله القدرة على قيادة الشياطين والجن والقدرة على فهم الحيوانات والحديث معها، وهذا ما لا أعتقده تمامًا.. أما هذا الخاتم، حسب ما ظهر لى، فهو ينفذ ما تتمنى.
هنا قال على الفور:
- إذن اتركه لى الليلة.
وأخذ يلح فى الرجاء.. إنه يصر ويصمم على أن يبقى الخاتم معه الليلة، الليلة فقط.
بينما هو يتكلم وضع الخاتم فى أصبعه، وأردف:
- سوف أطلب طلبًا واحدًا.. واحدًا فحسب.
هنا دق جرس الباب..
ذهبت لأفتحه..
حقيقة هذا الرجل طفل كبير..
فتحت الباب فوجدت (حسين) و(عبد الحميد) يقفان خلفه وينظران لى فى ذهول.
وقف (عبد الحميد) ومن خلف كتفه كان (حسين) يرمقنى فى ذعر حقيقى..
تمالك (عبد الحميد) أعصابه وسألنى، بعد أن دخل هو وصديقه الشقة، أن كيف عدت إلى طبيعتى، فأجبته بما حدث، فقط خلعت الخاتم من أصبعى بالصابون فعاد كل شىء إلى طبيعته..
جلس (عبد الحميد) على أقرب مقعد وجواره (حسين) الذي ظل يرمقنى ثم قال: - إذن لنرتب النقاط الآن أيها السادة.
قالها ثم صمت لأنه لاحـظ فى تلك اللحظـة وجـود شـخص غريب لا يعرفه، ألا وهو (سعيد)، الذي لاحظ هو الآخر نظرته له، فقلت كى أوفر عليهما تلك اللحظات: - (سعيد) صديق قديم، من الممكن أن تقول إنه أخى. وهذا دكتور (حسين) صديقى هو الآخر.. إذن ليس هنالك غريب.. تفضل أكمل حديثك.
أشعل لفافة تبغ ثم أضاف وهو يضع القداحة على المنضدة الصغيرة: - كما قلت لكم، لا بد أن نرتب أفكارنا جيدًا، بعد أن ظهر أمامنا ذلك الاكتشاف البسيط: عندما خلعت الخاتم من أصبعك عدت كما كنت.

يا له من حاذق! كدت أصفق له فى حرارة على كشفه المذهل لولا أن أضاف (سعيد) محييًا ومشجعًا: - أنت على حق تمامًا فهذا ما حدث فعلًا.
كدت أطردهما من دارى، لكننى عدلت عن تلك الفكرة..
هنا أضاف (عبد الحميد) وهو يشعل لفافة تبغ بدوره ويحك فى صلعته: - حقيقة لم ألق حالة كهذه من قبل.. خبراتى متشعبة، لكن هذا لم أقابل مثله، لكن إن أردتم رأيى فما رأيناه يمكن أن يكون مجرد هلاوس.. هلوسة جماعية.
- هلوسة؟!
قلتها، فأضاف هو:
- هناك قصص كثيرة تحكى عن هذا.. الفراعنة ذاتهم كانوا يعرفون عقاقير الهلوسة وكانوا قادرين على خلطها وتركيبها واستخدامها.. والطب الحديث يقول إن بعض مساحيق الهلوسة يمكن أن تحدث أثرها عن طريق الفم والأنف وربما إذا عرفت طريقها إلى العين كذلك..
صمت ثم أضاف:
- أعتقد أن ما نحن فيه ليس سوى هلوسة جماعية.
وهكذا مضت ساعات كئيبة قضيناها نحاول إيجاد تفسير لتلك الحالة..
فى تلك اللحظة نظر الجميع إلى (سعيد) الذي هب ناهضًا من فوره كالملسوع وأخذ يحك فى كفه اليمنى، ويحاول نزع الخاتم الذي التصق بأصبعه وكأنه صار جزءًا منه!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

حاولنا كثيرًا لكن انتهى الأمر.. لقد سبق السيف العذل.. نظر الجمع إلى (سعيد) الذي وقف يحك رأسه فى بلاهة، ويقول وهو يحاول عبثًا حل الخاتم من إصبعه: - لم أكن أعلم أنه سوف يلتصق بيدى.. صدقونى.
ربما لو جربنا الصابون مثلما فعلنا منذ قليل.
وبالفعل نهضنا وسكبنا ما تبقى من زجاجة الصابون على يديه، لكن الغريب أن الخاتم لم يتحرر!
- والحل؟
هنا قال (حسين):
- إذن لم يكن الصابون هو السبب فى تحرير الخاتم من أصبعك، إذن هناك سبب آخر.
قال (سعيد) وهو ما زال يحاول تحرير الخاتم من أصبعه:
- أكيد سوف تعثرون على حل آخر غير بتر أصبعى.
- وما هو؟
- أن ننتظر حتى يخرج من أصبعى كما خرج من أصبعك، وفور خروجه أحضره إليك.
وهكذا لم أجد حلًّا بديلًا، لذا تركته فى يديه وتركته يرحل إلى بيته.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ـ ٢ ـ

عاد (سعيد) إلى شقته.. الوقت كان قد تأخر لذا دلف (سعيد) إلى غرفة نومه بعد أن تثاءب عدة مرات.. ألقى نظرة على الخاتم فى يده، وابتسم.. كيف لم يعلم المغفلون أنه قد تمنى أمنية؟! لأنهم كما قال عنهم مغفلون..
تثاءب مرة أخرى واضعًا يده على فيه، ومن ثم دلف إلى جوار زوجته تحت البطاطين الدافئة..
ظل يحلم فاتحًا عينيه بالأموال التي ستمطر من السماء عليه.. لا، لم يخبر زوجته، لأنها كالبئر إن علمت سوف تأخذها كلها لنفسها، فهى تسيطر على الأمور المادية بأسرها كما تعلم، هى وزير التموين والشئون المالية البيتية.
كاد أن يغيب فى سبات عميق لولا أن قطع ذلك طرقات على باب شقته.. طرقات ثابتة.. تشعرك أن خلف الباب آلة تطرق، لا آدميًّا..
نهض جالسًا على الفراش ونظر فى ساعة المنبه الذي يجلس متربعًا على الكومود إلى يساره، وجدها الثانية صباحًا.. يا له من شخص سمج!
بكل تأكيد ليس ابن جارته (فوزية) هبط لينذر « إن لم ينزع الغسيل من فوق الأحبال لخربت أمه بيته ولنشرت ملابسها وملابس عائلتها كلها فوق ملابسه ».. أنت تعلم تلك الأمور كذلك.
دنا من الباب، وبحذر تساءل:
- من؟
لا إجابة..
رفع صوته أكثر وصاح:
- من؟
جاءه صوت أجش لكنه كان منخفضًا، وكأنه لا يريد أن يسمعه أحد: - افتح الباب.. لا تخف.. إنه أنا.. الأمر شديد الخطورة والأهمية..
بحذر مد (سعيد) يده وأزاح المزلاج، ومن وراء السلسلة تفحص الباب فى ضوء المصباح المعلق خلف باب شقته..
لم يتبين ملامح الرجل.. الظل والضوء لعبا دورًا كبيرًا.. لذا فقد رأي شاربًا يقف أمامه.. لا بلاغة فى ذلك الوصف حقًّا.. فقد رأى أمامه شاربًا كثًّا لم ير مثله قط، وقد توارى وسطه رأس الرجل..
- أهلًا.. من تريد؟
- أنت (سعيد) بيه؟
- (سعيد) بيه من؟
أضاف الرجل وهو يخفض من صوته أكثر:
- هل سنتكلم على السلم هكذا؟! افتح الباب أولًا يا بيه..
بيد متوترة فتح (سعيد) الباب وسمح للرجل بالدخول..
سأله مرة أخرى:

- هلا أخبرتنى الآن من أنت ومن تريد أيها الرجل؟
نظـر له الرجـل ولم يجـب، كأنه لم يسـأله، أو كـأنه أجـابه: « نعم، أنا هو »..
فقط أخرج من خلفه حقيبة جلدية، دسها بين ضلوعه، ثم أضاف وسط ذهول (سعيد): - هذا الثمن الذي اتفقنا عليه، وسوف نخبرك بالموعد القادم..
نظر (سعيد) للحقيبة وللرجل الذي أردف قائلًا بعد أن دوى صوت سارينة سيارة دورية شرطة بالقرب من المنزل: - سوف يخبرك المعلم (حسان) بالباقى، فأنت أخذت الثمن ويجب عليك أن تفى بالتسليم!
قالها، ولم يتركه يتفوه بكلمة واحدة.. فقط غادر البناية بسرعة شديدة كالملسوع!
كاد (سعيد) أن يجن، وهرع ليلحق به، لكنه لم يستطع فقد تلاشى الرجل على الدرج فى لمح البصر!
أغلق (سعيد) الباب، وجلس على مقعد الأنتريه ووضع الحقيبة أمامه.. كانت حقيبة مصنوعة من القماش.. حقيبة سفر من تلك الحقائب الأسطوانية.. ظل يرمقها ثم قال بصوت خفيض: - ما هذه المصيبة؟!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ظل يحدث نفسه ويسألها مائة سؤال.. دون إجابة واحدة.. هنا نظر إلى الخاتم، وحاول نزعه، لكنه أبى كما تعرفون.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

نظر إلي الخاتم قائلًا:
- بكل تأكيد ذلك الرجل خاطئ فأنا لست الشخص المقصود، وإلا كانت كارثة! أصابنى داء الشيزوفرينيا، وأنا لا أدرى ذلك!
يا لها من ليلة!
نهض ودار حول نفسه فى الغرفة.. خرج إلى الشرفة ليلفحه الهواء الطلق، ثم دلف إلى الحجرة.. نظر إلى الحقيبة ثم إلى الخاتم فى يده، وأخذ يدنو منها بتؤدة إلى أن وقف أمامها تمامًا، وبتردد أخذ يفتح السحاب ليجد ما كان يتمنى!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

المال!!
الكثير من المال قد استقر داخل الحقيبة بانتظام..
بالطبع لم ينم.. ظل جالسًا يحدق فى الحقيبة، فى مشهد يذكرك بمشهد الفنان (عادل إمام) و(شيرين) فى « بخيت وعديلة »، لا ينبس ببنت شفة!
فقط يحملق فى الأموال المتكدسة ويتساءل مائة سؤال فى نفسه.
يا لها من مصيبة.. ما هذا؟!
ثم ما المقابل الذي ينتظرونه منى؟!
بكل تأكيد هم مخطئون.. بكل تأكيد قد أخطأوا الشخـص المطلوب.. بكل تأكيد هم يبحثونِ عِن أشخاص مثل (سيد شفة) أو (عباس البرعى) أو (حمدى

مكنسة)، أما أنا فـ (سعيد).. اسم ليس من حقه أن يمتلك كل ذلك المبلغ!
هكذا قال حين قطع جرس الهاتف الأرضى كل تلك الخواطر والأسئلة..
نظر إلى الهاتف فى استغراب، فمن الذي سيتصل بهم فى وقت كهذا، ثم من الذي سيتصل على هذا الهاتف الأرضى فى تلك الأيام، فلماذا صنعوا المحمول إذن؟!
ترررررررررررن ترررررررررررررن
جرس الهاتف يدق بإلحاح، لذا لم يجد مفرًّا من الاستجابة.
نهض وقدمه لا تطيعه..
رفع سماعة الهاتف، وبصوت مبحوح حذر تساءل:
- من؟
قالها وهو ينظر إلى ساعته، التي تعدت الثالثة والنصف صباحًا!
بكل تأكيد لن يعلن له ذلك الهاتف إلا عن مصيبة جديدة.
مرة أخرى أضاف:
- ألو..
صوت أجش.. يأتى من الجهة الأخرى يسعل و « تفوههههههه » كأنه بصق فى السماعة ثم قال: - أيون.. لقد أخذت المبلغ كما اتفقنا سويًّا.. أليس كذلك؟
- أهلًا وسهلًا.. من معى؟ حضرتك أنا لست ...
لم يدعه يكمل، وأضاف:
- اسمع يا أستاذ (سعيد) يامدرس العربى أنت.. لقد أعطيناك ما أردت، وذلك مجرد عربون لنا منك.. يوضح أننا صادقون، وأنا عادة ما أفعل ذلك، لكننى أعلم انك رجل، وسوف تفى بوعدك، وسوف تعطينا ما طلبنا منك، وما أخبرتنا أنه لديك..
لم يستطع (سعيد) أن يستمع إلى كل هذا ولا يرد.. لذا أضاف وقد انتفش صدره: - اسمع أيها الرجل أيًّا كنت.. أنا لست من تبحثون عنه، هنالك خطأ ما بالتأكيد، ابعث أى أحد ليأخذ تلك النقود، ولن أخبر أحدًا عما حدث..
- هههههههه هههه خخخخخخ!
ضحكة ليست بالعادية بالمرة، ضحكها من فيه المتسخ، ثم أضاف بعد أن أطلق سبة لا داعى لذكرها ها هنا وبعد أن بصق مائة مرة: - اسمع أنت يا أموووور..
- ماذا؟!
- كما سمعت.. إن ما اتفقنا عليه سوف يتم للنهاية، وسوف تأخذ الباقى كما اتفقنا.. هذا ما لدي لك، وإلا ....
قالها وصمت، وكأن على (سعيد) أن يخمن باقى الجملة، وهو أن يبعثوا أحدًا كى يتخلص منه إلى الأبد.. ولن يأبه به أحد إن حدث ذلك، خاصة وأنه مقطوع من شجرة..

ترررررررك!
وأغلق الهاتف!
يا للكارثة!!
وقف (سعيد) مبلبل الأفكار يمسك سماعة الهاتف ويستمع إلى صوت « تيت تيت ».. ثم « أعا أعا أعا ».. ثم ذهبت الحرارة!
***
جلس مرة أخرى يحدث نفسه، ويقلب الأحداث كلها داخلها ويتحدث بصوت عال: - هل فعلت أمرًا لم أدرك أننى فعلته أو لم أذكره ونسيته؟! أعتقد أن هذا لم يحدث.. هل ربما يكون تشابه أسماء؟! لكن من أين له بهاتفى؟ بالطبع لن يكون الآخر مدرس لغة عربية هو أيضًا! يا له من مأزق! وما الذي يريدونه منى؟ أعتقد أن ما يريدونه سيكون شيئًا يعاقب عليه القانون لا محالة.. إن صوته كالحمار، حقيقة، لا ينبع إلا من تاجر أى شىء غير قانونى حتمًا..
فى تلك الأثناء استيقظت (أميمة) زوجته.. تقلبت فى الفراش ووضعت يدها على الوسادة فلم تجد رأس (سعيد) مكانه، لذا نهضت لتنظر إلى ساعة المنبه لتجدها الرابعة صباحًا!
تدس قدميها فى نعل خفيف مليء بالريش كأنها تدهس دجاجة، وتغادر الفراش إلى الصالة.
تدعك فى عينيها كى تسمح لهما بالرؤية الجيدة، فتراه يجلس يرمق حقيبة جلدية!
تدنو أكثر دون أن تنادى عليه أو تلفت انتباهه، فترى كل تلك النقود!
هنا تلطم صدرها وتشهق، وهنا يستفيق من شروده ليراها.
∞ ∞ ∞ ∞ ∞
لا بد أنهما وقفا لنصف ساعة على الأقل يتبادلان النظر..
عيناها تقولان الكثير، لذا دون كلمة جلست ليشرح لها كل شىء.
هى تجيد فن الإنصات وهو يعلم ذلك.. لذا جلست وأخذ يحكى لها كل شىء..
∞ ∞ ∞ ∞ ∞
لنقل إنها صدقت كل شىء دون أن تناقشه حتى.. دست يدها فى الحقيبة لتخرج رزمة من الأموال المستقرة فى الحقيبة والمصفوفة فى صفوف تسر الناظرين، واستنشقت عبيرها كما يحدث فى الأفلام، ثم قالت وهى تعيدها: - لنطلب الشرطة.
نظر إليها ثم قال وهو يشيح بنظره عنها وعن الأموال، وينهض ليجول الغرفة جيئة وذهابًا متوترًا: - أسئلة كثيرة وصداع ولن يحلوا شيئًا، وسيظل الآخرون يطالبوننى بشىء لا أعلم كنهه حتى.
قالها ثم أضاف وهو يهرع إلى هاتفه الخلوى ليبحث عن رقم ما ليطلبه: - سوف أتصل بـ (إبراهيم).
قالها ثم هرع إلى هاتفه واتصل بى..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فى الرابعة صباحًا سمعت جرس هاتفى المحمول يدق فى إلحاح.. لم أكن قد نمت بعد، أو لنقل إن جفنى صارا كالطين، لكن كل شىء يدور فى رأسى ويدق كالطبل.. نهضت كالروبوت متثاقلًا وقد نسيت أو لنقل تناسيت أمر الخاتم وغيره من الأحداث، ورددت بعد أن رأيت اسم (سعيد) يضيء عبر الشاشة: - (سعيد)، صباح الخير..

- صباح الخير، (إبراهيم).. أعلم أن الوقت ليس بالمناسب كى أتصل بك، لكن صدقنى الأمر جلل!

- ما هنالك؟

قال متوترًا:

- أريدك الآن.. الآن.. لو تأخرت فربما لن تجدنى.. فربما قتلت أو سجنت!

وضعت يدى على رأسى كى تسكن تلك الرجرجة ويكف ذلك الصداع عن إزعاجى وقلت: - حسنًا.. سوف أرتدى ملابسى وآتيك من فورى.

وهكذا أغلقت الهاتف ووضعته على المنضدة، ونهضت متثاقلًا واتجهت إلى الحمام.. وضعت رأسى تحت الصنبور كى يغسل كل شىء.. وارتديت ملابسى وانطلقت بسيارتى نحو شقة (سعيد).

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فتحت لى زوجته بحال يرثى لها.. عيناها حمراوان كالشياطين.. أما هو فقد هب ناهضًا وعلامات الرعب على وجهه، واقتادنى دون كلمة إلى حقيبة جلدية مليئة عن آخرها بالنقود!

جلست قائلًا:

- الآن قص علىَّ ما حدث كاملًا دون أن تنسى شيئًا.

وهكذا ذهبت زوجته لتعد لنا شايًا ثقيلًا يُذهب النوم أو يقتله قتلًا، وجلس هو يحكى لى كل شىء.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بعد دقائق دق جرس هاتفه مرة أخرى.. هذه المرة نهض دون تردد بعد أن نظر لى ثم نظر إلى الهاتف، وهو يسب ويلعن كل شىء، المتصل وزوجته ويسبنى أنا شخصيًّا.. أمسك سماعة هاتفه ورفعها، وانطلق المدفع يدوى صوته فى سماء الشقة بعد أن سمع صوت المتصل من الجهة الأخرى.

ثم أغلق الهاتف وهو يقول:

- ملعون كل شىء!

نهضت وأنا أضيف متسائلًا:

- هو؟

- نعم.

حقيقى هو فى مأزق.. هو إنسان مهدد وفوق ذلك هو الآن مراقب.. لك أن تِعلم أن حياته لن تِعود كما كانت من قبل.

أشعل لفافة تبغ وأضاف:
- لماذا أنا بالذات؟
- لأنك من تمنى أن يأتيه المال!
قلتها ثم أردفت وأنا أشير إلى يديه:
- ولأن الخاتم معك.. أنسيت؟!
قلتها وأنا أشير إلى الخاتم الذي يرتديه، فأخذ ينظر إليه، ثم قال: - بالطبع هذا ليس حقيقيًّا.
- وما حدث أمامك؟ ووجهى الذي تبدل؟
أمسك الخاتم بيديه، وقال وهو يحاول خلعه من أصبعه:
- حسنًا.. أنا لا أريده الآن.
قلت مبتسمًا:
- لن يتحرر من يديك بسهولة كما تتوقع، أنسيت عندما حاولت خلعه أنا؟
- لكنه تحرر بسهولة أمامى!
نهضت وأنا أقطع الغرفة جيئة وذهابًا، ثم جلست على أقرب مقعد وأخذت أرتب أفكارى بصوت مسموع: - كما قلت لك، الخاتم هو سبب كل شىء.. لن ننتظر نهوض صانعه من قبره كى يقولها لنا.. هذا خاتم به طلسم صنعه أحدهم كى يحقق الأمنيات، لكن الغريب أن الأمنيات تتحقق بصورة غريبة وغير مفهومة.. عندما تمنيت أن أكون مثل (عبد الحميد) صرت هو فعلًا بشحمه ولحمه ووجهه المتعرق دائمًا، وعندما تمنيت أنت المال ها قد أتاك بالفعل، لكن أتت معه كارثة لا تعرف عنها شيئًا، وعندما تمنيت أنا ألا أكون (عبد الحميد) عدت كما كنت وتحرر الخاتم..
هنا صحت بعد أن أتى الحل كومضة البرق فى رأسى أو كمن استفاق من غيبوبة: - فقط سيتحرر عندما تتمنى زوال المال.
نظر إلى وكاد أن يقول شيئًا إلا أن زوجته قالت مقاطعة:
- لا نريده.. لا نريده.. إن كان سيأتى بذلك الشكل فلا نريده.
نهض (سعيد) وهو يصرخ قائلًا:
- أنتما تخرفان.. هذا هراء.. المال الذي تمنيته ليس هذا.. لم أتمنَّه بهذا الشكل!
- صدقنى.. هذا الاحتمال هو الأقرب إلى الصواب.
وهكذا ظللنا طيلة الليل نحسو الشى ونفكر فى بضعة حلول، حتى أتى النهار، وأتى معه اتصال تليفونى من (عبد الحميد) يخبرنى فيه بما حدث معه ومع (حسين) عند الشيخ (رضوان).
وكان معى كل الحق فيما قلته..
كيف؟
سوف أترككم لبرهة لتعرفوا مثلى ما حدث مع (عبد الحميد) و(حسين).
∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ـ ٣ ـ

جلس الشيخ (رضوان) يستمع إلى الرجلين، ثم نهض ودخل إلى غرفة صغيرة الحجم.. دقائق وخرج منها بوجه آخر، وجلس على الأرض وقال: - هناك أشياء فى عالمنا لا نعلم عنها شيئًا.. هى أقدم منا بكثير، لا يجب علينا التقدم أو الدنو منها، لأنه، باختصار، لن نعود أو تعود حياتنا كما كانت قبلها.. ومن هذه الأشياء ذلك الخاتم الذي تتحدثان عنه.

صمت لحظة ثم أردف:

- هناك العديد من الطلاسم والخواتم المنقوش عليها طلاسم.. ليست هنا فى مصر فحسب، بل ينقشها الدجالون فى جميع أنحاء العالم.. لعل أشهرها خاتم الملوك السبعة، وهو خاتم مأخوذ عليه عهد من سبعة ملوك من الملوك القدامى من الجن يحصنون صاحبه الذي يرتديه.. وغيره من الخواتم التي يدعى البعض أنها منسوبة إلى النبى سليمان.. لكن للحق، الخاتم الذي تتحدثون عنه، الذي يرتديه صاحبكما، لا أعلم عنه شيئًا، ربما كان العهد المأخوذ على خادمه هو تحقيق الأمنيات أو تغيير القدر.

صمت مرة أخرى، وأضاف متسائلًا:

- هل تعرفان شيئًا عن حجر سليمان الحقيقى؟

- .....

كان ردهما كصحراء.. فقط صوت الرياح.. لم ينطق أحدهما ببنت شفة.. فقط نظر بعضهما إلى بعض كالمعاتيه..

أطرقا برأسيهما خزيًا وعارًا، فأكمل هو بعدما استشف خيبتهما المدوية: - إن حجر سليمان هذا (صمت وأردف بصوت خفيض: إن كان حقيقيًّا) هو نوع من أحجار العقيق، نسبة إلى النبى سليمان وما عرف عنه حول قدرته فى إخضاع الجان له وتنفيذ أوامره، وما إلى ذلك من قدرات خارقة مثل التحدث إلى الحيوانات، كما ذكر فى القرآن الكريم فى قصة الهدهد..

لو لديكم وقت فسأتحدث أكثر عن أنواع تلك الأحجار السليمانية..

نظر (عبد الحميد) إلى (حسين)، نظرة ذات معنى ثم قال:

- تفضل، لكن أرجو أن يفيدنا هذا فى قصتنا تلك.

ابتسم الشيخ (رضوان) وأضاف شارحًا:

- من قديم الأزل يبحث الإنسان عن المحبة والرزق والوجاهة وغير ذلك.. وهذا الحجر يفعل كل تلك الأمور، بالإضافة إلى عقد اللسان وتسهيل الأمور وما شابه ذلك.. لكن تختلف الأختام أو الطلاسم الموجوده فيها من حيث الطالب والمطلوب.

ومنه ما يتم استخراجه من بطن الثعبان السليمانى إذا سترته فى وقت مجامعته.. وتختلف الروايات فى هذا النوع. أما النوع الثانى فهو غالى الثمن جدًّا ولا تستطيع الحصول عليه إلا عن طريق الشيوخ الروحانيين.

ولحجر سليمان أيضًا أشكال وألوان مختلفة.. ومنهم من يستخدمها للزينة إذ لا يعرف من يقتنيها أهى أصلية أم مقلدة.
اللون البنى يدل على خلق المحبة بين اثنين..
اللون الأصفر عقدة لسان..
اللون المائل للبعير للخيلاء..
اللون الأسود للسيادة والرفعة..
اللون الأبيض للمحبة..
وألوانه كثيرة بالفعل، ولكل لون ونوع فعل واستخدام، وهناك نوع نادر تجد فى قلبه لفظ الجلالة « الله » واضحًا فى داخل الحجر.
صمت برهة ثم أضاف:
- لو أنه لديكما الآن لقلت لكما أهو أصلى أم تقليد.. الشاهد من حديثى هذا وما أردت قوله هو أن مفعول ذلك الحجر قوى جدًّا إلى درجة أنى أخاف ارتداءه لفترة.. ومعروف أيضًا عنه أنه سريع الاستجابه.. وأيضًا معروف عنه أنه يسكنه الجن. فمنهم من يسخر له خادم ليفعل له فعلًا بعينه أو سحرًا بعينه.
لذا نصيحتى لكما وله.. أقصد صديقكما.. هى أن يرجع الخاتم كما كان ويغلق الغرفة إلى الأبد.. فالرصد الخاص به لا نعلم وظيفته ولا قوته. ولا نعلم ما هو مكلف به.
تنهد، وأضاف:
- أعيدوا كل شىء لسابق عهده، وكفى الله المؤمنين القتال.
قالها وهب ناهضًا معلنًا عن انتهاء المقابلة..
شكراه على لا شىء وانصرفا.
جلس (عبد الحميد) فى مقعده فى السيارة وبجواره (حسين) الذي قال وهو خلف المقود: - فى كل ثقافة تجـد السحر يلعب دوره.. هـذا الرجل لا يعرف بالتأكيد ليجيتون كالفيكولا ساليمونيس المنسوب إلى الملك (سليمان).. لكنه تحدث عن أهم فرعين من هـذا الكتـاب: الإرث الماذيل الذي يضم أخطر وأكبر معلومات تتحدث عن صنع أختام من الشمع تستخدم فى التحكم فى الشياطين والملائكة، والفرع الآخر استوخيا جورتيا الذي يضم ثلاثين روحًا هائمة وأختامهم وأسرار البشر الدفينة.
دون أن ينظر إليه (عبد الحميد) قال:
- ربما كان صادقًا، لكن أنت تعلم مذهبى يا (حسين)..
حقًّا أنا أعتقد فى الجن لأن قرآننا تحدث عنهم.. أما الأختام والعهود ما زال فى قلبى شك منها.. وعلى كل حال، كذب المنجمون ولو صدقـوا.. كل ما أعرفه عن حجر سليمان هذا هو ما جاء فى تلك القضية الخاصة بالتزوير، التي تورط فيها (عوديد جولان) فى عام ٢٠٠٢، حينما ظهر حجر عليه نقش، قدمه وقتها إلى متحف فى « إسرائيل » للبيع، وثارت وقتها الشكوك حول صحته

وتم تحويل الحجر وقتها إلى الفحص الجيولوجى، وتم إثبات أصالة الحجر.. غير ذلك أنا لا أعلم شيئًا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

- ٤ ـــ

هكذا أغلقت هاتفى وحكيت له ما قالوه عن الحجر وعن الخاتم.. باختصار، حكيت له ماحدث من وقت مغادرتهما شقتى حتى الآن.
تبادل النظرات مع زوجته التي جلست تمصمص شفتيها كأى زوجة مصرية أصيلة تحترم نفسها، ثم أضافت وهى تضع أصبعها على خدها: - كل ما قاله ذلك الشيخ حقيقى.. ومن يلعب بالنار يتحمل حرقها.. اللعب مع الجان والعفاريت ليس سهلًا فلا بد لك من أن تحترق.. لذلك خذ هذا.. وهبت واقفة لتنزع الخاتم من يد (سعيد) الذي تحرر الخاتم من يده بسهولة تامة وسط ذهول منى ومنه، وبفطرة تُحترم أعطتنى الخاتم، وهى تضيف غير عابئة بشىء: - وكما قال المثل « الباب اللى تجيلك منه الريح، سده واستريح ».
هكذا إذن هى لخصت كل شىء.. هذه سيدة مصرية أصيلة متمسكة بكل العادات كما تعلم دون أن تنظر إلى الخاتم الذي نزعته بكل سهولة من يد زوجها أو من المصيبة التي كنا نبحث لها عن حل.
وبالفعل كما قالت فى مثلها: « الباب اللى تجيلك منه الريح، سده واستريح ».
نظر إلى (سعيد) و تساءل وهو ينظر إلى الأموال المتراصة أمامه: - وتلك الأموال ما الذي سنفعله بها، وهؤلاء الاوغاد؟
لم يكمل كلماته.. فقد دق جرس الباب وتبعه طرق شديد!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

اقترب (سعيد) من باب الشقة وصرخ كالمجنون:
- من؟!
وكان المشهد هذه المرة يتكرر بالحذافير، وكأنه شريط لفيلم أعيد تشغيله، لكن هذه المرة أنا أشاهد ذلك الفيلم، وفى المرة الأولى لم أكن متواجدًا..
جاءه صوت أجش لكنه كان منخفضًا، وكأنه لا يريد أن يسمعه أحد: - افتح الباب.. لا تخف.. إنه أنا.. الأمر شديد الخطورة والأهمية..
نظر (سعيد) إلى نظرة ذات معنى « ألم أقل لك إن صوته كالحلوف »، فأومأت إليه معربًا عن تصديقى له.. بحذر مد يده وأزاح المزلاج، ومن وراء السلسلة تفحص الباب فى ضوء المصباح المعلق خلف باب شقته..
لم يتبين ملامح الرجل.. الظل والضوء لعبا دورًا كبيرًا لذا فقد رأى شاربًا يقف أمامه.. لا بلاغة فى ذلك الوصف حقًّا.. فقد رأى أمامه شاربًا كثًّا لم ير مثله قط، وقد توارى وسطه رأس الرجل.. دار فى رأسه أنه ربما ليس هو، لأنه لم يتبين ملامحه فى المرة الأولى، لذا قال بتردد: - أهلًا.. من تريد؟

- أنت (سعيد) بيه؟
- (سعيد) بيه من؟
قالها وكأنه مجبر على ذلك، فأضاف الرجل وهو يخفض من صوته أكثر: - هل سنتكلم على السلم هكذا؟! افتح الباب أولًا يا بيه..
بيد متوترة فتح (سعيد) الباب وسمح للرجل بالدخول..
(المشهد يتكرر بالفعل كما سبق!)
سأله مرة أخرى:
- هلا أخبرتنى الآن من أنت ومن تريد أيها الرجل؟
نظر له الرجل ولم يجب، كأنه لم يسأله، أو كأنه أجابه: «نعم أنا هو».. فقط دلف إلى الشقة بعد أن أزاح (سعيد) من أمامه ووضع يديه على الحقيبة الجلدية الموضوعة أمامى، ودسها تحت إبطيه، ثم قال وسط ذهول (سعيد) وذهولى: - هذه ليست لك، لم تكن أنت المقصود بهذا..
نظر (سعيد) للحقيبة وللرجل ولى، فأردف الرجل قائلًا بعد أن دوى صوت سارينة سيارة دورية شرطة بالقرب من المنزل: - هناك دورية تحوم حول المنزل.. ربما وشى بنا أحدهم!
نهضت كى أقول شيئًا أو حتى لأمنعه، لكنه كان سريعًا ومتمرسًا.. أخرج من جراب كان مخفيًّا فى طيات ملابسه مسدسًا ولوح به فى الأفق مهددًا، لذا لذنا جميعًا بالصمت والسكون، وابتسم هو معربًا عن النصر، ثم أردف: - لا داعى للقول إن الواشى سوف يلقى جزاءه.
كدت أن أفعل مثل إسماعيل يس وأقول لاويًا فمى: « الواشى بقى »، لكننى ابتلعت أى كلام فى حلقى، فابتسم هو مرة أخرى وانصرف تاركًا على رؤوسنا الطير!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بداية الحكاية
ـ ١ -

القاهرة فى 2010..
فى غرفته جلس يدون شيئًا ما.. قلمه الحبر الباركر، وبجواره تلك الدواة التي ابتاعها من محل بوسط البلد.. « دواة حبر فرنساوى ».. هكذا قال له البائع وناوله إياها بعد أن وضعها له فى كيس أبيض شفاف.
حجرة واسعة مليئة بالكتب، يتوسطها منضدة تمتلئ عن آخرها بدورها بالكتب.. على اليمين أريكة مغطاة بفرش عليه نقش زاه، وعلى الأرض مبخرة مليئة بالفحم المتقد.. رائحـة البخـور تملأ المكان.. بخـور رائحتـه مميزة وجيدة.
جلباب أبيض لا يشوبه اتساخ، ولحية بيضاء مثله، وعمامة تغطى رأسه..
يمسك بقلمه متربعًا بحجمه الضئيل ويكتب فى صمت شيئًا ما لا نتبينه!
ينظر عبر النافذة إلى الرقعة الزراعية الفارغة والفضاء الواسع، ثم إلى الأدخنة التي تخرج من المبخرة، ثم يدون شيئًا آخر، ويأخذ الورقة ويخرج من غرفته ليقابلهم..
سيدتان ورجل كهل.. تنفرج أسارير السيدتين.. أما الرجل فيظهر على تعابير وجهه عدم الاكتراث.. تهم إحدى السيدتين بتقبيل يده فيسحبها قبل أن يمس فمها ظهر يده، وهو يقول: - العفو يا بنتى.
تبتسم وتضيف:
- حفظك الله يا شيخ (صابر)، ولا أراك الله مكروهًا فيمن تحب.
ابتسم الشيخ بدوره، وأضاف وهو يناولها الورقة التي كتبها: - هذه الورقة يتم تنفيذ ما فيها كما هى بالحذافير.
تتناول هى الورقة من يديه بلهفة، ثم تقسم له إنها لن تنسى تلك التعليمات المقدسة، وإنها تجله وتحترمه.
وتنصرف وقد اجتاحت نفسها جيوش الأمل، لكن الرجل العجوز الذي كان يسير إلى جوارهما ظل يحوقل ويبسمل فى سره غير راض عن أى شىء من هذا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كان يرمق هو كل ذلك، وينظر إلى جده الرجل الكهل العجوز نظرة شمم وتفاخر، فهو يحبه ويحترمه ويبجله كثيرًا.
فالناس تأتيه من كل حدب وصوب، ويختارونه هو بالذات.. هو طبيب الكثيرين، يحبه الجميع ويتبركون به وبكراماته، وبمعرفته غير المحدودة.
يقولون إنه « مخاوى »، ويقول آخرون إنه مبروك، ويقول آخرون إنه ولى من أولياء الله الصالحين وله كرامات، ويقول آخرون إنه ساحر يعمل بالسحر

السفلى.
الحقيقة هى أنه لا يعلم، فربما كان جده كل هؤلاء.
يأتيه الجميع يطلبون العون والمدد مما هم فيه، فمنهم من أصابهم المس، ومنهم من سكن منزلهم الجان والعفاريت، يجيئون إليه حزنين ويغادرون من عنده فرحين.
اسمه حسن.. حسن خلف صابر.. فى العام الأخير من المرحلة الإعدادية..
ينظر إليه جده ويبتسم ابتسامته الحنون ويضيف ولم تغادر الابتسامة فمه: - ما رأيك فى هؤلاء الناس يا (حسن)؟
لم يفهم (حسن) وقتها سؤاله، لكنه أجاب فى بلاهة الصغار وبراءتهم: - طيبون يا جدى.
يبتسم (صابر) قائلًا:
- نعم، طيبون.
قالها ثم أضاف:
- أتعلم يا (حسن)؟
نظرة انبهار من (حسن) إليه لم تَزُل عن وجهه، ولم يتفوه ببنت شفة، فاسترسل هو: - العلم له زكاة، مثل الأموال تمامًا. وزكاة العلم تبليغه. وتبليغه من الممكن أن يكون بمساعدة الناس، مساعدة المحتاج. هل تفهمنى يا (حسن)؟
- أكيد يا جدى.
وضع يديه على كتفى (حسن)، ودلفا إلى الصالة التي تتوسطها منضدة خشبية متهالكة نوعًا ومقعدان، وقد وضع عليها ثلاثة أرغفة من الخبز البائت، وصحنين فارغين.. اقتاد (حسن) إليها وأجلسه، ثم دلف إلى المطبخ، وعاد بصحن كبير ملىء بالفول المدمس الغارق فى الزيت، وقال وهو يملأ صحن (حسن) أولًا: - أنت الآن رجل ويجب أن أعتمد عليك.. صحيح.. فى أى سنة من الدراسة أنت؟
يبتسم شاعرًا بالفخر، ويتناول رغيفًا، ويغمسه في صحن أمامه، قائلًا: - بالطبع يا جدى، فأنا رجل.. وكل ما ستقوله لى سوف أفعله.. أنا فى السنة الأخيرة للمرحلة الإعدادية.
يجلس أمامه، ويقول:
- منذ أن ولدت يا (حسن) وأنا أحبك، حتى من قبل أن أراك.. والدتك لم تحبنى قط.. مثل أختك.. لكننى أحبكما، لأنكما ولدا ولدى، وكما يقول المثل: « أحب الولد ولد الولد ».
اسمعنى جيدًا يا بنى.. لقد طلبت من أبيك كثيرًا أن أعلمه علمًا ينفعه، لكنه لم يرتض قط ...
قاطعه (حسن) قائلًا:
ـ أما أنا فقد طلبت منك ذلك كثيرًا.

ابتسم جده وهو يهمس:
- كل شىء بوقت.. ولكل وقت أذان يا (حسن).
- صحيح.
قالها (حسن) ووضع لقمة فى فمه وابتلعها، فقال جده:
- الدرس الأول كى تتعلم هو أنه يجب عليك ألا تملأ معدتك أبدًا.
قالها فتوقف (حسن) عن الأكل ونظر إليه قائلًا:
- حسنًا.. لن آكل.
قهقه هو، وقال:
- أنا أمزح معك.. كل كما تريد، لكن اترك ثلثًا لنفسك.
نظر له (حسن) وسأله:
- ما بال النسوة اللاتى ذكرتهن لى؟
نظر إليه جده وقال:
- ذكرتهن لك لأنهن سوف يأتين ثانيةً!
قالها ودق الباب.
ذهب (حسن) ليفتح الباب فوجد أخته.. نظرت إليه ثم نظرت إلى جدها فى حنق واحتضنت (حسن) وهى تقول: - كيف حالك يا (حسن)؟ هل أنت بخير؟
ونظرت إلى (صابر) مرة أخرى، وأضافت:
- السلام عليكم..
قالتها واقتادت أخاها الصغير إلى غرفتهما.. كانت تحمل لفة من الورق تفوح منها رائحة الضأن!
أجلسته أمامها على الفراش، ووضعت اللفة على الفراش بجوارهما، وسألته:
- هل أصابك مكروه؟
- لا، لم يحدث.
- إذن هل قام بعمل تلك الطقوس؟
قاطعها قائلًا:
- (حسناء)، إن جدى طيب القلب، وكفى أنه يجعلنا نحيا معه فى شقته بعد سقوط منزلنا، ووفاة أبى وأمى.
قالت بغضب شديد:
- ليس بلا مقابل يا (حسن).. فكل شىء له مقابل فى هذه الدنيا.. أنا شقيقتك الكبرى وأعى جيدًا ما أقوله لك.. صدقنى.. هذا الرجل ساحر كذاب، يضل الناس بكلامه، يريد أن يظهر للجميع أنه شيخ يساعدهم حتى تصير سيرته عطرة فى وسط الناس ويتحدث عنه الجميع.. هو لا يريد سوى ذلك.
- وما المقابل إذن؟
قالها (حسن) ثم أضاف:
- هل تدفعين له أجرتنا وأنا لا أعلم؟
ثم إنه قد قال لى إنه يساعد الناس بلا مقابل.

نظرت إليه وقالت وهى تربت على كتفه فى أمومة:
- ليس كل المقابل مالًا يا (حسـن).. فهنـاك أشـياء أغلى فى ثمنها من المال..
أردفت، بعد أن نظرت إلى وجه أخيها الذي ظهر على قسمات وجهه عدم فهم ما تقول، فعلمت وقتها مع من تتحدث: - حسنًا.. لم أقل إنه ليس طيبًا، ولم أنكر أنه يستضيفنا فى شقته، لكن هذا وضع مؤقت، وأنا أبحث عن شقة صغيرة لى ولك، كى ننتقل إليها فى أسرع وقت.
- لماذا؟
مسحت بكف يدها دمعة فرت منها رغمًا عنها، وأضافت منهية الحوار: - لأننى لا أريد المكوث ها هنا أكثر من ذلك.
هنا دق باب الغرفة!
وارت اللفة أسفل الفراش وذهبت لتفتح الباب فوجدت جدها يقف خلف الباب. لم تفسح مجالًا لدخوله الغرفة.. فقط سألت: - ماذا تريد؟
أزاح (صابر) يدها ودلف إلى الغرفة وهو يقول:
- لماذا تبحثين عن شقة؟ هذه شقتك أنت و(حسن). هل رأيت منى ...
- كفى.
قالتها (حسناء)، وهى تهب واقفة، وتردف:
- أرجوك.. لا أريد التحدث فى هذا الموضوع مرة أخرى.. لقد أخبرتك مرارًا أننى لا أشعر بالراحة هنا.
جلس (صابر) على مقعد خشبى خلف الباب، وقال:
- أعلم يا بنتى أنك تمقتين عملى، لكن الله ...
- لا تتحدث عن الله، أرجوك.. ثم إننى لا أريد أن أتحدث بهذا الشأن.. أنت ...
قاطعها (صابر) قائلًا:
- ليس ذنبى أنك رأيت ما لا يجوز أن تريه.
قالها فأخذت التشنجات تزحف على جسد (حسناء)، فجلست على الفراش وأخذت تهتز وتمسك بكتفها الأيمن.
هرع (صابر) إليها ووضع يديه على رأسها وأخذ يتمتم ببضع كلمات تخللتها آيات قرآنية كثيرة، حتى بدأ كل شىء يعود إلى طبيعته وهدأت.
الدموع ملأت عينيها، وهى تنظر إليه، ثم أشاحت بوجهها عنه.
نقل (صابر) النظر بين (حسن) وبينها، ثم غادر الحجرة بلا كلمة واحدة.
نظر (حسن) إلى (حسناء) فوجدها ما زالت تبكى وتئن، فربت على كتفها، فنظرت إليه، ونهضت لتخرج اللفة من أسفل الفراش، وفضتها وهى تمسح أنفها السائل بظهـر يديها، وأخـذت تضـع أمامه أصابع الكفتة، وهى تضيف: - كل.. قريبًا سوف نغادر ذلك المكان إلى الأبد.
- ٢ ــ
نحيلة، عليها إيشارب أسود خفيف، وبنطال جينز ضيق، وقميص أزرق، عينان غائرتان، وأنف حاد، وأسنان أمامية تذكرك بالأرانب، تنهب الطرقات بحثًا عن

شقة إيجار.
تقف تتساءل، فيشير إليها على مكان ما.. تبتسم له، ثم تغادر من أمامه وهو يرمقها فى تشكك واضح.
(حسـناء) وإن كنتم لا تعرفونها فهى فتـاة عـادية كأية فتـاة، لا شىء يميزها.
تذكرك بالأولاد، بجسدها الذي لا يوجد له ملامح أنثوية تشى بشىء على الأعتاب.. تلك الانبعاجات والهضاب لم تمر على جسدها قط.. تشعر أن تلك الهرمونات قد نسيت أن تدلف إلى خلايا جسدها النحيل، فصارت كالشاب الهزيل.
لكنها، والحق يقال، كالنحلة تروح وتجىء بلا كلل.. تخرجت فى كلية التجارة.. تحديدًا إدارة الأعمال.
قدمت فى الكثير من الوظائف، لكن جسدها ومظهرها كانا سدين منيعين أمام كل الفرص التي سنحت للعمـل، وانتهى بهـا المطـاف فى مكتب الحاج (عبد المعين الفرماوى) فى باب الشعرية.. مكتب متوسط نوعًا، يعمل فى تجارة الجملة.
ذهبت إليه وتقدمت للوظيفة، فقبلها، ولم تكن لتتخيل أن يقبلها..
تذكر ابتسامته لها فى حنو كالأب، وهو يقول:
- العمل لدى يا (حسناء) ليس صعبًا وليس سهلًا.
- وما طبيعة العمل هنا يا حاج؟
قالتها وهى جالسة فى مكتبه وترمق كل ركن فى مكتبه الكبير، فأجاب هو: - سوف تكونين ذراعى اليمنى ها هنا.
صمت ثم أضاف:
- أنا أعلم أنك تحتاجين لتلك الوظيفة، لكن لدى مبدأ: أنا سوف أعطيك مالًا مقابل عمل، فأنا أريدك كما تريدينني، فهى علاقة تبادل منفعة.
قالها ثم ابتسم، وابتسمت بدورها..
رشف من كوب النعناع الذي تفوح رائحته الزكية، وأضاف:
- كما ترين، نحن نعمل فى تجارة الجملة، ونوزع على المحلات الصغيرة والمتوسطة، ولدينا مخزن يكفى بضاعتنا.. دورك هو أن تراقبى كل شىء بالكاميرات الخاصة بالمراقبة، وأن تحصرى الأرصدة.
صمت ورشف رشفة أخرى من النعناع، وأضاف:
- هل أنت مستعدة؟
ابتسمت وأجابت:
- بكل تأكيد.
هكذا قبلت الوظيفة، وهكذا جلست أمام الكاميرات.
المحل به الكثير من العمال.. لقد قدمها إليهم وقدمهم إليها.. هذا (مجدى) أمين المخزن، ومساعده (سمير)، وهذه (يمنى) كاشير، وهذه (سماح) عاملة، وهذا (سعد) مشرف الوردية. تعرفت عليهم ومنذ الوهلة الأولى أعجبها

(سعد)، لم تعرف لماذا، ربما لأنه المشرف، أو لأنه الوحيد الذي بادلها الابتسامة.
لم تكن حياتها سعيدة على الإطلاق كأية فتاة فى سنها.. لقد ارتبطت بوالدتها كثيرًا فرحلت تلك الأخيرة مع زوجها غير مهتمة بما سيحدث لها..
كأن الموت يجب أن يأخذ موعدًا قبل أن يأتى!
مرت الأيام وهى فى عملها، علاقتها الخفية هى وقلبها تتسع وتتزايد مع (سعد).. إنه شاب وسيم، يحبه الجميع.
لكن هذه العلاقة لم تدم، لأنها فى تلك الليلة المشئومة جلست خلف الكاميرات تراقب المخزن والمحل من الخارج والداخل.
هذا (مجدى) ينقل البضاعة ولا يكل، ومعه مساعده (سمير)، فرغا من النقل فخرجا إلى المحال، ثم إلى خارجه، هى تراهما عبر الكاميرات، لقد خرجا من المحل، ربما ذهبا إلى الحمام، لأن المحل لا يحتوى حمامًا للأسف.
الآن ترى (سماح) وهى تسير ببطء بتلك العباءة السوداء، وخلفها (سعد) ماسكًا خصرها، ثم يختفيان عند تلك البقعة العمياء من الكاميرات!
لا بد أنهما يعرفان جيدًا أن تلك البقعة لا تراها الكاميرا بتاتًا!
دق قلبها بعنف!
هل تذهب لترى ماذا يفعلان؟
لكنها تعلم.. فهذه المشية المريبة بتلك العباءة السوداء تشى بشىء سيئ السمعة.. لكن وما دخلها بذلك؟! فليذهبا إلى الجحيم! لكن كيف؟! فهى مسئولة عن المحل بأكمله فى وجود الحاج، فما بالك فى عدم وجوده؟!
لذا نهضت وتركت مكانها، وذهبت إلى حيث يقفان.
ببطء هبطت الدرج، ثم مرت من أسفله إلى البدروم حيث المخزن، الرائحة كئيبة وكريهة، لا بد أنهم يستخدمون تلك البقعة العمياء الأخرى كحمام فى بعض الأوقات.. تمر من أمام المخزن ومن ثم من أمام الكاميرا.. هذا الجدار يعرف كل شىء، ولو كان حيًّا لأشار إليها بأنهما خلفه تمامًا.. دقات قلبها تتزايد، والعرق يتصبب منها.. تقترب أكثر من الجدار، وتسمع أصواتًا مختلطة، فتقترب أكثر.. هنا تراهما.. هذا أسوء وضع من الممكن أن تراه!
ما إن لمحتها (سماح) حتى شهقت، وصرخت صرخة مكتومة..
وضع (سعد) كفه على فمها كى لا يفتضح أمرهما.. نظرت هى لهما صامتة لثوان، ثم غادرت المكان!
لملما أشلاءهما وغادرا المكان وعادا إلى عملهما كأن شيئًا لم يكن.
دقيقة، ودلف (سعد) إلى غرفتها.. كانت الدموع محتبسة فى مقلتيها.. حقيقة هى لا تعلم لماذا، ربما لأنها عاشت مع قلبها قصة حب ليست من حقها.
دلف (سعـد) والشـرر يتطاير من عينيـه، وأضاف وهـو يصفـع حافـة المكتب: - كيف لك أن تتركى مكانك، وتأتى إلى أسفل؟!
قالها ثم أضاف بنبرة تهديد واضحة:

- إياك أن تنطقى بحرف واحد، فهذا معناه شىء واحد.. هو طردك من المكان برمته.
نظرت إليه وهو يغادر المكان وأجهشت فى البكاء.
وبالطبع أخفت كل شىء..
الحياة بالنسبة لها الجحيم ذاته، فلا أحد يأبه لها.. ليس لها سوى (حسن) شقيقها الصغير، فى المرحلة الإعدادية.. يبدو أن الحياة السيئة لم تأت بعد..
لم يمر على وفاة والديها سوى شهر وبضعة أيام.. رحلا وتركا لها (حسن)..
لقد سقط عليهما المنزل المتهالك.. لم يجدا أحدًا سوى جدهما.. لحسن حظهما أنها كانت فى جامعتها و (حسن) فى مدرسته، وإلا لكانوا الآن يحاولون انتشال جثتيهما مع أبويهما.
من الوهلة الأولى وهى لا تشعر ناحيته بالأمان، ربما لأنها رأت ما يفعله بأم عينها، أو لأن والدتها لم تكن تحبه بتاتًا، أو لأنها سمعت الكثير عنه من والدتها وهى تتشاجر مع والدها.. هى تتذكر آخر مشاجرة كأنها البارحة.
« لن أقبل نقودًا مصدرها كفر ».
قالتها أمها لوالدها الذي تطاير الشرر من عينيه، ولطمها على خدها، وترك المنزل فى ذلك اليوم..
هو بالنسبة لها ساحر ملعون.. هكذا قالت لها أمها، قبل أن تغادر الحياة تحت الأنقاض.
صدقتها، ورأت بنفسها هذا.
لقد رأته بنفسها وهو يحضر عفريتًا، ويتلو العزائم الخاصة بالسحرة الملاعين..
وقتها تملكها الخوف وارتعدت، وتشنج جسدها بالكامل.. لقد رأت ما لا يجوز أن ترى.
ومن وقتها وهى تمقته.. لقد كان سببًا فى مرضها هذا.
أما (حسن) فهو يحبه، ويجد أن ما يقوم به عمل صالح، أو لنقل: هى تجربة جريئة، وهو شاب، والشباب يجدون فى كل غريب ومرعب متعة لا حدود لها.
هى تذهب إلى عملها منذ الصباح وتعود فى الحادية عشر ليلًا.. تخشى عليه منه، فربما يستغله فى شىء من أعمال السحر هذه أو يعلمه إياها.
لذا فى يوم إجازتها تنهب شوارع القاهرة نهبًا بحثًا عن شقة إيجار لها ولـ (حسن) بعيدًا عن جدها.
دلها أحدهم على بيت فيه شقة واحدة فارغة تركها صاحبها، وهو صاحب البيت، فى حى مصر القديمة، تحديدًا منطقة فم الخليج، صاحبها لا يحتاجها، فهو يحيا فى شقة والده بالمقطم.. أعطاها رقم هاتفه، فوجدته مغلقًا.
سألت كثيرًا حتى دلها أولاد الحلال على عنوان شقته بالمقطم.
أخذت بعضها وحشرت نفسها وسط الناس فى تلك العربة الصغيرة، المتجهة إلى المقطم.

تهبط من السيارة، وتخرج الورقة التي خط فيها العنوان والاسم « إبراهيم فتحى توفيق ».. تتساءل فيشيرون إلى بناية قديمة نوعًا.. تشكرهم وتذهب إلى البناية.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ـ ٣ ـ

اليوم التالى بعد أن ذهبت أخته إلى العمل.
أمسك (صابر) بالقلة الموضوعة على حافة الشرفة، وجرع منها، وقال وهو ينظر إلى (حسن): - صدقنى يا (حسن)، لم أفعل شيئًا لـ (حسناء).. كل ما هنالك هو أنها رأت ما لا يجوز أن ترى.
صمت برهة، وأضاف وهو يعيدها إلى مكانها على الشرفة:
- فى أوقات كثيرة يا (حسن) هنالك أشياء لا يجوز أن نسأل عنها أو نراها، لأن حياتنا وقتها لن تعود كما كانت.
صمت برهة أخرى، ثم أضاف:
- ربنا يقول فى محكم التنزيل، بعد « بسم الله الرحمن الرحيم »: « يا أَيُّها الَّذِينَ آَمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ. »
نظر له (حسن) غير فاهم، فأضاف وهو يبتسم بعد أن خمن عدم فهم (حسن) لما يقول: - النبى، صلى الله عليه وسلم، نهى عن كثرة السؤال، وقال: « ذرونى ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ».. وفى هذه الآية الكريمة ينهى الله المؤمنين عن أن يسألوا عن أشياء لا حاجة بهم إليها ولا هى مما يعنيهم فى أمور دينهم ودنياهم، ولو ظهرت لهم هذه الأشياء وكُلِّفوا بها لشَقَّتْ عليهم وساءتهم..
صمت وقال وهو ينظر إلى (حسن) الذي وقف مصغيًا وقد أذهله لسان جده الطليق: - فهمت يا (حسن)؟
نظر له (حسن) وقال وهو يبتسم ويحك رأسه فى بلاهة:
- قليلاً، ربما ... ربما كان قصدك أن من تدخل فيما لا يعنيه سمع ما لا يرضيه.
قهقه جده وأضاف وهو يربت على كتفه:
- ورأى، أيضًا، ما لا يرضيه يا (حسن). وهذا ما حدث مع (حسناء) تقريبًا.
نظر إليه (حسن) وقال:
- نعم، جدى، كما تقول.
قالها، ودق الباب، فذهب (حسن) ليفتح، فوجد السيدة التي رآها من قبل عند جده، وقد أتت بغير الوجه الذي انصرفت به.. كانت أشد شحوبًا، وكانت أكثر عصبية، لكن هذه المرة أتت من دون أحد.. فقط هى.. لمحت (صابر) من مكانها، فدلفت بعد أن أفسح لها (حسن).. حاولت تقبيل يده فسحبها قبل أن تفعل، وقالت بلهفة ورجاء: - أريد زوجى كما كان.. أرجوك.. لقد كنت مخطئة!

قالتها، فنظـر (صـابر) إلى (حسـن) الذي تبـادل معـه النظـرات وهو مذهول..
ابتسم وقتها وأضاف عبارته المأثورة بتؤدة فى سره:
- لا يحب أحدكم قدره.. لا يحب أحدكم حاله. الكل يريد قدرًا آخر غير قدره.. حالًا آخر غير حاله.. وعندما يدرك.. فقط عندما يدرك، يتمنى أن يعود إلى حاله.
حسنًا بنيتى.. هو الآن كما كان. خـلال يـوم أو اثنين فقط سـوف تعـود الأحوال كما كانت.. وسبحان من يبدل الأحوال من حال إلى حال.
كادت تهم بالانصراف إلا أنه أضاف:
- فقط لا تعودى إلى ولا تذهبى لغيرى، وإلا عاد كل شىء كما كان.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

- ٤ ـــ

بعد أن غادرت السيدة المنزل، نظر (حسن) إلى جده، وعلامات الدهشة على وجهه، وقال ولم تفارق الدهشة وجهه: - كيف علمت أنها ستعود؟! ثم لماذا عادت من الأساس؟!
ذهب جده إلى المطبخ ليعد كوبًا من الشاى، وهو يقول:
- الناس يا (حسن) طماعون، لا يحب أحدهم ما هو فيه.
قالها وهو يصب الشاى من البراد الأبيض الصدئ، ثم أضاف وهو يقلب الكوب الساخن: - لا يحب أحدهم قدره.. لا يحب أحدهم حاله. الكل يريد قدرًا آخر غير قدره.. حالًا آخر غير حاله. فقط أجعلهم أنا يحبون حالهم الذي كانوا عليه ويطلبون العودة إليه بعد أن يروا بأعينهم ما كانوا يريدون.. حالهم الذي لم يكن من البدء قدرهم.
هرش (حسن) فى رأسه غير فاهم، فأردف (صابر):
- كل ما أفعله هو أننى أظهر لهم الحال الذي كانوا يريدون، فلا يعجبهم، لذا يطلبون منى العودة لحالهم الأول.
ابتسم (حسن) وقال:
- لقد فهمت الآن لماذا عادت تلك السيدة..
كى تطلب منك العودة إلى ...
- حالها الأول.
قاطعه جده قائلاً إياها، ثم أضاف:
- أختك سوف تقرع الباب الآن.. اذهب وافتح لها، وسوف نتحدث لاحقًا، لكن لا تذكر لها شيئًا.
اندهش (حسن) مما قاله جده، ودق الباب بالفعل!
ذهب (حسن) وفتح الباب، ليجد (حسناء)!
نظرت إليه وهو ينظر إليها فى دهشة لم تفارقه، فقالت وهى تنظر إليه: - ما بك؟ لماذا تنظر لى هكذا؟ هل حدث لك مكروه؟

قالت أسئلتها الثلاثة، وهى تمسك به من كتفيه كطفل صغير هى أمه، فأجاب وهو يحرر نفسه منها: - لا شىء.
- إذن هيا لندخل إلى غرفتنا.. لقد أحضرت لك طعامًا معى.
- لا أريد أن آكل.. لقد أكلت مع جدى.
همست وتمتمت ببضع كلمات، ثم قالت:
- حسنًا.. أريد أن أجلس معك.
قالتها واتجهت إلى الغرفة التي يعيشان بها.. نظر (حسن) إلى جده فأومأ إليه إيماءة تعنى أن اذهب معها، فذهب.
ما إن دلف إلى الغرفة حتى أمسكته من يديه وهى تقول بغضب:
- لماذا لم تنتظرنى؟ لماذا أكلت معه؟ ألم أطلب منك مائة مرة ألا تأكل من يديه شيئًا؟
- (حسناء)، هذا جدى وجدك.
- أعلم، لكن ...
- ليس هناك لكن.. انفضى عن رأسك.
- ماذا؟ ما الذي أنفضه عن رأسى، سحره الأسود، أم كفره؟!
- لست كافرًا!
قالها (صابر) بعد أن وقف عند باب الغرفة ولم يدخلها.
نظرت إليه وتلعثمت، ثم نهضت من على الفراش الذي كانت تجلس عليه، وهمت أن تقول شيئًا، لولا أنه قاطعها قائلًا: - ليس ذنبى أنك رأيت ما كان يجب ألا تريه.. ليس ذنبى أن والدتك لم تكن تحبنى.. ليس ذنبى وفاتهما.. ليس ذنبى أن ...
- كفى.. لا أريد أن أسمع شيئًا.
- حسنًا لن أتحدث مرة أخرى يا ... يا بنيتى.
قالها واستدار وغادر الغرفة.
نظر إليها (حسن) معاتبًا وهم أن يقول هو الآخر شيئًا، لكنها قالت بعين غاضبة:
- لا تفتح فمك.. كل فحسب.. ولى معك حساب آخر.
هكذا دس فى فمه لقيمة وأخذ يلوكها وهو ينظر إليها بعين حزينة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

- ٥ -

انا أجلس فى شقتى أقرأ أخبار الفيس بوك.. حقيقة هو مسل.. لكنه مثل الكاتب أنيس منصور، مسل جدًّا، لكنك تخرج منه بلا فائدة، أو لنقل إن فائدته الوحيدة هى التسلية. سيأخذك من يدك إلى لفة عبر الدنيا والرحلات والشخصيات والقصص والميتافيزيقا وكل شىء، حتى إنك ستنسى عن أى شىء كان يتحدث وربما تناولت قرص أسبرين من جراء الصداع الذي سيعتريك من تلك الجولة.

لقد ذهبت الجرائد بلا رجعة بعد ذلك الإنترنت وتلك السوشيال ميديا.. أتذكر والدى ـ رحمة الله عليه ـ ويوم الجمعة الذي كان بالنسبة له مقدسًا.. جريدة الأخبار فى يده وعويناته على أنفه، وبجواره كوب الشاى الفاحم.. هذا كله قبل الإفطار.. أما أنا فكنت أفضل جريدة المساء.. ووقتها كانت الخيارات محدودة، فإما الأخبار وإما المساء، وكانت جريدة الأخبار هى الجريدة الرسمية فى بيتنا.
أما الآن فضغطة زر تكفى لتشاهد كل الأخبار فى كل الصحف حتى العالمية.
جاءتنى تلك النحيلة.
بالطبع الأمر كان عليها شاقًّا، فأنا أكثر الأوقات أغلق هاتفى، فأنا لا أحب الحديث فى ذلك الهاتف المحمول، ولا أحب المضايقات.
أصدقائى يحيطون بى، عدا (سعيد)، الذي يرسل لى على الفيس بوك إن أرادنى.
دق جرس الباب وفتحت لأجد تلك الفتاة المذعورة، نحيلة كعود القصب، سمراء عيناها زائغتان.. نظرت إليها غير فاهم، منتظرًا منها حديثًا طال انتظاره لثوان معدودة، وبعد تردد قالت وهى تفض ورقة مهترئة بالية كالعجين من كثرة القبض عليها حتى لا تفر: - لقد قالوا لى إنك هنا.. إنك تود ب- ... تأجير شقتك التي هناك.
- تقصدين أنك تريدين استئجار تلك الشقة؟!
قلتها لها وهى ما زالت على الباب لأننى وللأمانة خفت أن أدعوها للدخول فتظن بى سوءًا، وتفضحنى ويصير اسمى فى البناية على كل لسان، لذا فضلت أن أتحدث معها حيث هى، فأجابت هى: - نعم، أنا أريدها.. ومعى (حسن) أخى الصغير.
نظرت إليها مرة أخرى، وأضفت:
- حسنًا.. لا بأس.. وأين هو؟
- هناك فى بيته.
- مع والديك.. هذا أكيد.
- لا.
قالتها ثم أضافت:
- لقد توفاهما الله.
- البقاء لله.
هذه الفتاة خجول أو « متربية » كما نقول بالعامية، على الرغم من أن مظهرها لا يوحى بذلك، فذلك المظهر (البنطال الضيق، الشيميز القصير الضيق بدوره، تلك الأظفار) يدل على أنها وبكل حق « مدردحة ».. لكن ليس بالشكل.. هكذا تعلمنا.
أضفت مترددًا حيث إن الأمر يحتاج الآن إلى الدخول فلن أكتب العقد على السلم: - إذن تفضلى.

- ثوانى.. سوف أذهب كى أصور بطاقتى الشخصية، لأننى نسيت.
- لا بأس.. لدى ماكينة تصوير.. ثم لندردش سويًّا قبل أى شىء.
قلتها وقد دلفت إلى الشقة وتركتها تدير الموقف فى رأسها، وبتردد دلفت بدورها.. أخذت تنظر إلى الشقة وفى كل ركن فيها، ثم دعوتها للجلوس فجلست.
جلست بدورى أمامها، وأضفت متسائلًا:
- ما اسمك؟
- (حسناء).
- ماذا تعملين؟
- أنا مراقبة كاميرات.. أعمل فى محل لتجارة الجملة أراقب له المخزن والمحل كله بالكاميرات.. مسئولة عن كل شىء هناك.. وأخى يدرس فى الإعدادية.
- حسنًا.. أرجو منك أن تقصى على لماذا تريدين الشقة؟
- لماذا يريدون الشقق؟
قالتها كى تحرجنى، لكننى قلت مفسرًا:
- يريدونها لأشياء كثيرة.. منها أشياء لن أقدر على تفسيرها لك، وإن كنت أعتقد أنك تعلمين تلك الأمور فأنت كبيرة بما يكفى.. أشياء من تلك التي تأتى الشرطة كى تقبض على أصحابها فى منتصف الليل.
احمرت وجنتاها، ثم قالت بعد أن افتعلت السعال:
- احم احم.. أريدها كى أعيش فيها بعيدًا مع أخى الصغير.
- أنا آسف.. لكن أين تعيشين الآن؟
- مع جدى، لكن أريد بيتًا وحدى مع أخى.. هل ستعطينى الشقة أم لا؟
دون كلمة أخرى نهضت، وتناولت منها بطاقتها.. نظرت فيها نظرة سريعة قبل أن أصورها.. كتب على ظهرها مؤهلها « بكالوريوس تجارة إدارة أعمال »! صورتها وأعدتها إليها وأحضرت كوبًا وضعت به مياهًا غازية، ووضعته أمامها على صحيفة، وأحضرت عقدًا وبدأت أكتب البيانات حتى فرغت، وكنت أنظر إليها وأراقب عينيها الزائغتين، فلمحتنى وقالت: - شكرًا لك.. هل سأتسلم الشقة الآن؟
- هل تعلمين مكانها تحديدًا؟
- احمرت خجلًا، وقالت:
- لا.
ابتسمت وأضفت:
- حسنًا.. سوف أرتدى ملابسى وأخرج معك وسوف أسلمها لك اليوم.
قلتها ووضعت العقود فى حقيبتى الجلدية الصغيرة، وذهبت لأبدل ملابسى وتناولت مفاتيح السيارة وهبطنا الدرج إلى حيث هى.
∞ ∞ ∞ ∞ ∞

عندما وصلنا إلى الشقة ركنت سيارتى وترجلنا وصعدنا إليها.. فتحت الباب وقلت وأنا أضىء المصباح الكهربى: - سوف تجدين كل سبل الراحة هنا فى المنطقة، إن شاء الله.
- شكرًا لك.
قالتها وهى تتوغل إلى داخل الشقة كى تراها وتفحصها بعناية خبير، ثم أضافت: - حسنًا.. أنا أريدها.
قلت مبتسمًا:
- حسنًا.. هى لك.. مبروك..
ناولتها المفتاح وأضفت:
- فى أى وقت تريدينى فأنا موجود.. ليس فى وقت الأجرة فقط.
تناولت المفتاح وهى تنظر إليه كأنه مخلِّص لها من غم وهم، وابتسمت.
∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ـ٦ـ

« إذن سترحلين ».
قالها الشيخ الجد (صابر) لحفيدته (حسناء) التي أخذت تلملم أشياءها وحاجيات أخيها من ملابس وغير ذلك فى حقيبتين، واحدة جلدية، وأخرى من القماش البالي الذي ينم عن أن أحد الجنود قد استعملها فى حرب ٣٧.. وهذا حقيقى، فقد كُتب على أحد جوانبها اسم أحدهم وعنوانه وكذا السرية التي كان ينتمى إليها، لكن الكثير قد محاه الزمن.
تنظر إليه وهى ما زالت تفعل ماتفعل:
- نعم، كما ترى.. أظن أننى أصبحت كبيرة بما يكفى كى أحافظ على نفسى وأخى، فأنا الآن أعمل وأتقاضى أجرًا.
- العمل ليس كل شىء يا بنيتى.
- أرجوك.. كف عن هذا.. فلقد حسمت أمرى وأنت تعلم أننى لن أتراجع عن قرارى.. فلا داعى لذلك الحديث الذي لا طائل منه.
قالتها ثم صرخت بصوت عال منادية على (حسن)، الذي وقف على باب الحجرة لا يلوى على شىء سوى الحزن، لكنه مجبر.
أراد أن يقول شيئًا، لكنه يعلم أن أخته رأسها كالحجر، وأنها الكبيرة.. جده سوف يتوفاه الله قريبًا.. هكذا قدر.. فعمره المنصرم لن يأتى مثله والمتبقى منه ليس كما انصرف.. أما أخته فالعمر أمامها مديد..
لذا قال:
- حسنًا أختاه.. أنا مستعد.
قالها وهو ينظر إلى جده، الذي قال:
- أريد أن أتحدث إلى (حسن) لدقيقة قبل أن تنصرفا.
- لن ...

قالتها ثم قطعت حديثها وأردفت:
- لدقيقة فحسب.
ابتسم (حسن) ثم انطلق مع جده إلى حجرته.. ما إن وصلا حتى أعطاه جده رقم هاتفه فى ورقة صغيرة مقواة مزقها من علبة دواء فارغة، وقال له: - هذه أرقام هاتفى.. سوف نتقابل كل أسبوع مرتين.. كلمنى لنحدد اليومين قبلها.
تناول (حسن) الورقة ودسها فى جيبه ولثم جده.
دخلت أخته عليهما لترى ما يفعلان ثم قالت:
- هلا انصرفنا الآن؟
- حسنًا.. هيا بنا.
قالها وانصرفا فى سيارة أجرة متجهة إلى حى مصر القديمة.
∞ ∞ ∞ ∞ ∞

حكاية ولى
ـ ١ -

بعد مرور سنوات
القاهرة فى 2015..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

يدق جرس المنبه مرارًا كى ينهض (حسن) ملبيًا، فيفرك عينيه ويرتدى خفه ويغادر الفراش.
يرى أخته تقف على باب الشقة ترتدى حذاءها وعلى كتفها حقيبتها..
تراه فتقول وهى تفتح الباب لتغادر: - صباح الخير يا (حسن).. يومك طيب.
- صباح الخير.
- هل ستتأخر اليوم؟
- اليوم الاثنين.. نعم، سأتأخر.
- غريب ذلك العمل.. تأخير يومين فى الأسبوع والباقى تأتى فيه ظهرًا.. ربما جئت عندك كى أعمل معكم.
- لن يحدث لأننا لا نقبل الفتيات.. هذا عمل رجال.. رجال فقط.
قالها بصوت عال كى يصلها وهى تهبط الدرج، وانغلق الباب.
يرتدى ملابسه ويصلى الصبح، ثم يهبط ويحشر نفسه فى سيارة ميكروباص لتقله إلى مسجد الحسين!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ينزع حذاءه ويمسكه بيده ويدلف إلى المسجد الكبير.. يعرف طريقه جيـدًا.. يشـق طريقه داخـل المسجد حتى يصـل إلى ذلك الشيخ.. إنه الشيخ (صابر) جده.
يسلم عليه ويلثم يديه، فيلتفت إليه بجسده كله ويحتضنه، ويقول: - (حسن).. ها قد أتى الحبيب إلى، لكن لقد تأخرت على اليوم.
- أنا آسف يا جدى.. لقد نمت بعد الفجر بعد أن أنهيت الورد الذي أعطيته لى.
ابتسم الشيخ (صابر) وأضاف:
- أنت تلميذ نجيب يا (حسن).
قالها وجلس فجلس (حسن) بدوره بجانبه، فأضاف: - أتعلم يا (حسن) عندما نموت إلى أين سنذهب؟
ابتسم (حسن) لسهولة السؤال، ثم قال: - جدى، أنا فى السنة الأخيرة من الكلية.. أنسيت؟
- أعلم يا بنى، لكن أين الإجابة؟
ابتسم مرة أخرى (حسن) وقال:
- نذهب إلى القبر، ثم إلى يوم القيامة، ووقتها الحساب، ثم جنة أو نار.

- صدقت.
قالها ثم شرد وأضاف:
أتعلم أن الزمان له قداسته فى جميع المعتقدات البشرية؟ فهناك زمان مقدس وآخر دنيوى.. والمقدس لا يتساوى مع الزمان الدنيوى.. كما أن هناك أيضًا درجات لهذه القداسة، فالزمان يعاد ميلاده ويبدأ ثانية لأن العالم يخلق من جديد مع كل سنة ومنذ أن كانت العودة إلى بدايته بمعنى استعادة الزمن الأول النقى الذي وجد لحظة الخلق.. لهذا يا (حسن) فكل زمان مقدس يمثل انبعاثًا لحدث مقدس أخذ مكانه فى الزمن الأسطورى فى البدايات، فله توقيت خاص لا يتغير ولا ينسى مع كل احتفال خاص به.
صمت برهة ثم أضاف:
- مثل عيد الفطر وعيد الأضحى وعاشوراء، وهو يوم الوصايا، حتى يوم الجمعة. أما الزمن الذي نحيا فيه لن يكون له وجود.
باستغراب يرد (حسن):
- كيف؟
يجيب (صابر):
- الكفار الفجرة بعد موتهم وذهابهم إلى جهنم، أعاذنا الله منها، سيدخلون وسيقف الزمن هناك، فلا زمن.. لا يوم.. لا شهر.. لا سنة.. لا ساعة.. لا دقيقة.. لا ثانية.. فهو فقط الأبد.. الأبدية.. نار إلى الأبد.
يصمت برهة ثم يردف:
- تخيل يا (حسن)! لن يكون هناك وقتها وقت لينتهى!
أعوذ بالله!
يقولها ثم يضيف بعد أن يرتفع صوت من جانبهم لبعض الناس يرددون أنشودة إيقاعها جميل على المسامع: - استمتع يا (حسن) واسمع..

يا مــن هــواه أعــزه وأذلنـى
كيف السـبيل إلى وصـالك؟ دلنى
واصلتنى حتى ملكت حُشاشتى
ورجعت من بعد الوصال هجرتنى
فلأقعدن على الطريق وأشتكى
وأقـول: مظلــوم، وأنت ظلمتنى

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أخذ (صابر) يردد معهم:
الله الله الله
الله يا مولانا
الله الله الله
لا إله إلا الله
الله الله الله

الله يا مولانا

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ـ ٢ -

بعد صلاة الظهر جلس (صابر) و(حسن) فى ركن المسجد يسبحان..
قال (صابر) وهو ما زال ممسكًا بسبحته: - تذكر يا حسن.. منذ زمن سألتنى سؤالًا.. تذكر؟
هرش (حسن) فى رأسه كعادته وقال: - بكل تأكيد نسيته يا جدى.. وإلا لكنت سألته لك عندما كبر سنى و ...
وخفض صوته وأضاف: وعقلت.
ابتسم (صابر) وقال:
- أنا أذكره كأنه الأمس.
قالها وأردف:
- السيدة التي أتت إلى هى وصديقتها بسبب ...
- زوجها..
قالها (حسن) بعد أن تذكر، ثم أضاف: - بسبب زوجها.. وعادت مرة أخرى تلثم يدك لتعيد زوجها كما كان.
- صحيح..
سبح مرتين بسبحته التي لا تفارقه، وأضاف: - أتعرف الفارق بين الرجاء والتمنى؟
الرجـاء هـو إسكان القلب بحسن الوعـد.. وهـو مـن مقامات الطالبين وأحوالهم.. التمنى يورث صاحبه الكسل فلا يسلك طريق الجهاد والجد.
لذلك يا (حسن) ستجد معظم الناس غير العارفين يتمنون لأنه أسهل لهم فى التعامل مع الحياة ومع ربهم.
صمت لبرهة ثم أضاف:
- سوف أموت يا (حسن) عاجلًا أم آجلًا.. لذا أريدك ... أريدك أكثر من مريد يا (حسن).

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كرامة من كراماته
ـ ١ -

أنت تعرف (عفاف).. تعرفها جيدًا.. نعم هى جارتك فى السكن.. تلك السيدة، نعم سيدة، تزوجت من ذلك الفتى (ممدوح)، هى تكبره بأعوام، هى بدينة قليلًا وهذا سبب كاف (بالنسبة لها) أن تفقد الثقة بنفسها إلى أبعد الحدود.. أنت تعرف هؤلاء النسوة.. نعم هى هذه السيدة التي تصحو مبكرًا من النوم كى تعد الفطور لزوجها ممدوح فى سعادة عارمة ثم تتناول معه الطعام تلوكه معه وتطعمه فى فمه، ثم تلثمه قبل ذهابه إلى العمل، وتتصل به بعد الظهر لتتفقد أحواله في مكتبه ويتفقا على طعام الغداء.. هذه هى الحياة تقريبًا، كل شىء يتكرر يوميًّا بلا جديد.. أنت تعلم تلك الحياة.. تعلم كذلك أن انعدام الثقة الذي تعيش فيه قد تسرب إلى خلايا العلاقة الحميمة كذلك بينهما، وفقدت ثقتها فى كل شىء حتى فيه هو شخصيًّا.. ودت لو اتصلت به كل دقيقة وكل ثانية، حتى تتأكد أن لا أحد يكلمه وأنه لها وحدها لا شريك لها فيه.. كل الفتيات حلوات جميلات.. تلك الشعور وتلك الأجساد النحيفة.. لا بد أن ينظر إليهن، فهو رجل، وكل الرجال كريهة خائنة تلهث وراء الأجساد العارية أو الضحكة المائعة.

لا بد لها أن تتغير كى ينظر إليها وحدها..

هنالك تلك الفتاة التي تسلمت العمل معه فى الشركة، للأسف تحديدًا فى مكتبه، تلك اللعينة جميلة كما اتفق، نحيفة إلى حد ما.. وللأسف أيضًا بدأت تأخذ من حياتها أو للدقة من حياتهما الكثير والكثير، صارت حياتهما معًا أقرب إلى الخلاف الدائم..

أسئلة تتكرر كل يوم وكل ساعة..

هل تقابلتما؟

هل تصافحتما؟

هل نظرت لها؟

هل مازحتها؟

هل تناولت أى وجبة معها؟

وكانت الإجابات تأتى منه وهو يزفر وينفث غيظًا وحنقًا.. نعم تقابلنا فنحن نعمل سويًّا بل فى مكتب واحد فكيف لا أقابلها.. نعم تناولنا بعض اللقيمات لأننا تأخرنا فى العمل.. لا لم أمازح أحدًا لأننى وببساطة فى العمل لا فى نزهة.. ثم تأتى القنبلة: « كفى كل هذا.. إن الحياة صارت جحيمًا أيتها السيدة ..»

تنظر إليه ثم تدفن وجهها فى كفيها وتبكى، تبكى لكل شىء.

كيف لا يعبأ بها؟!

هى تجلس فى شقتها وحيدة كل يوم تنتظره، لا تدرى ما يفعل.. هى مغيبة.. لا بد لها أن تكون جميلة.. جميلة أكثر من أى يوم مضى.
لذا لا بد لها من أن تفعل ما قالته والدتها، أن يذهبا إلى السيد (صابر) أو الشيخ (صابر) كما يقولون.. لو كان والدها على قيد الحياة لما قبل ذلك.. والحقيقة أنها كذلك، فهى عاقلة، أو نصف عاقلة، تحمل مؤهلًا عاليًا، لكنها لا تعمل به.
تتفق مع والدتها على اليوم والساعة.. بالطبع يوم سيكون زوجها فى العمل وسوف يتأخر كذلك.
إذن لنذهب يوم الاثنين.
ارتدت ملابسها وخرجت مع والدتها.. تقترب أكثر من مكان الرجل فتشعر بدقات قلبها تتزايد.. تشعر بالبرد فتلف وتضم يديها حول نفسها، وتقول: - أمى، هل هذا الرجل مضمون؟
تنظر إليها، وتضيف:
- بكل تأكيد.. إنهم يقولون أشياء كثيرة عن ذلك الرجل.. أشياء يصعب على أى أحد تصديقها.. صيته يسمعه الجميع من شرق البلاد إلى مغاربها.
تقول لها ذلك الكلام فتطمئن أنها ستكون فى يد أمينة.
وبالفعل ذهبتا إلى الرجل، وحكت له كل شىء، فأخرج الرجل ورقة خط فيها بعض الأشياء، وكرر تلك الكلمة مرارًا « بالحذافير ».
وبالفعل فعلت كل شىء كما قال لها. لكن ما حدث معها بعد ذلك كان شيئًا غريبًا بالفعل.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فى ذلك اليوم خرجت (عفاف) من الحمام بجسدها وشعرها المبتل، بعد أن فرغت من أخذ حمامها..
كما قال لها الشيخ تمامًا قد فعلت.
قد مزقت الورقة وصارت تستحم بها كل يوم على مدار ثلاثة أيام بعد أن بخرت نفسها بالجاوى.. هى تعرف أن الجاوى يستخدمه السحرة، لكن لأول مرة تشم رائحته.. إن رائحته بالفعل عطرة.. لقد لفت خصرها بالمنشفة، وقد أخذت قطرات الماء تتساقط من جسدها على أرض الغرفة صانعة بعض البرك الصغيرة من المياه كلما خطت بضع خطوات..
لقد صارت أنحف من ذى قبل.. هذا واضح من لفة المنشفة على خصرها..
« أى »!
قالتها وهرشت فى كتفها بعد أن شعرت بلسعة حشرة ما آلمتها للغاية، لكنها واصلت طريقها إلى غرفة النوم ومن ثم إلى المرآة.. نظرت إلى كتفها حيث اللسعة، لترى أثرها، فرأت ذلك الاحمرار!

حينئذ فقط زادت اللسعات، الآن زادت اللسعات وصارت فى أماكن متفرقة من جسدها، وكأنها جلدت بالسياط!
نزعت المنشفة بسرعة وألقت بها على الفراش بعيدًا عنها لترى مصدر تلك اللسعات.. حينها رأت الهول ذاته.. كل تلك الكمية الهائلة من النمل تسرى على جسدها بحرية تامة.. حشد كامل من النمل قد اتخذ جسدها مرتعًا!
أطلقت صرخة ليست بالهينة، صرخة توقظ الأموات من قبورهم.. ثم سقطت فاقدة الوعى.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

قبل ذلك بأربع وعشرين ساعة..
تنظـر (عفـاف) إلى المـرآة تتأمل نفسها.. هى تشعر بأن هنالك تغييرًا طفيفًا، لكنه كذلك ملحوظ فى قسمات وجهها.. لقد اختفت بعض الخطوط والتعاريج فى وجهها!
هى تشعر أنها أفضل حالًا مما كانت عليه بالأمس.. لقد صار لونها كذلك أفتح قليلًا.. وربما احمر خداها قليلًا كذلك..
هى تعلم أن ما تستخدمه من مساحيق لم يحظ معها بأية نتيجة بعد، لذا فهناك شىء ما! لا بد أن الرجل كلامه وما يقولونه عنه صحيح مائة بالمائة.
لن تخبر زوجها بذلك التغيير، لأنها لو أخبرته، لكان معنى ذلك انها كانت قبيحة من قبل.
لذا آثرت الصمت.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ـ٢ـ

دلفت (عفاف) إلى جوار زوجها (ممدوح) فى الفراش، وأخذت تلكزه بكتفها كى ينهض، فأصدر صوتًا كالنهيق، وأخذ يطلق سيلًا من الهمهمات غير المفهومة، فأضافت هى برومانسية مصطنعة: - أرجو منك أن تخبرنى بشىء، ألم تلحظ تغييرًا قط؟!
قالتها ثم رفعت صوتها صارخة فى أذنيه:
- (ممدوح).. (ممدووواااااااح)!
استدار لها (ممدوح) وهب من مرقده وجلس على الفراش، وقال بعينين منتفختين كجثة لفظها النهر منذ قليل: - ماذا هنالك أيتها المعتوهة؟! ماذا أصابك؟! هل لدغك ثعبان حتى تصرخى صراخًا كهذا يوقظ الموتى؟!
قالها كسدادة فلين لفيها، ثم عاد أدراجه، وغط فى سبات عميق، وتعالى شخيره مجددًا.
زفرت هى فى حدة ثم لم تجد مفرًّا من دس رأسها تحت الوسادة، ومحاولة النوم..
ثوان، ثم نهضت منكوشة الشعر، وهى تصرخ:

- حسنًا.. لن أنام بجوارك بعد الآن أبدًا.. نم وحدك إلى الأبد يا ...
(وخفضت صوتها) عديم الإحساس.
قالتها، ونهضت عابرة من فوقه داهسة على معدته قاصدة، وهو يتأوه، وغادرت الفراش، ثم الغرفة، وأغلقت الباب خلفها.
فى تلك اللحظة ابتسم (ممدوح)، وفى رأسه دار أمران: الأمر الأول أنه لم يرحها ولم يخبرها بأنها صارت جميلة، بل نحيفة أيضًا.. لا بد أنه الريجيم أو ذلك « الجيم ».. لا بد أنها تجرى كثيرًا كل يوم.. لكن لو قال لها أى شىء عن تغيرها المفاجئ هذا فستقول كالمجنونة إنه كان يراها كالجيفة.. والأمر الثانى أنه سـوف ينعـم بالنـوم على الفراش وحـده وربمـا كمـا قالت وتمنى هو « إلى الأبد ».

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

- الصبر يا (عفاف).. الصبر.. وسوف ترين أن هذا الرجل له كرامات يتحدث عنها القاصى والدانى.. صدقينى.
قالتها (رئيفة) والدتها لها عبر سماعة الهاتف، ثم أضافت:
- لكن كما قال لك، إياك أن تخبرى زوجك بأى شىء. فقط دعيه يضرب أخماسًا فى أسداس، عندما يجدك صرت (فرجينيا) جميلة الجميلات، ووقتها لن يذهب إلى العمل من الأساس.
صوت ضحكة من فم عفاف، التي تضع يديها على فيها ثم تردف:
- أود أن أخبرك بشىء.. سر.. لكن عدينى أولًا.
- بماذا؟!
- بأنك لن تخبرى أحدًا.
- أيتها الخائبة، ومن الذي سأخبره؟ لكن على كل حال، أعدك.
تنهدت عفاف وأضافت:
- لقد خسرت عشرة كيلوجرامات من وزنى!
لم ترد رئيفة، لكن بعد صمت أضافت متعجبة:
- فى يومين؟!
أقسم إن ذلك قد حدث لى..
قالتها ثم أضافت كأنها تؤكد ذلك:
- فى يومين!
قالت رئيفة غير مصدقة:
- ألم أقل لك إن سره « باتع »؟!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ظل هو يرقب كل التغييرات يوميًّا.. يجلس مع نفسه فى المكتب، ويتذكر كيف كان شكلها، وكيف صارت.. لقد تبدلت، تحولت مائة وثمانين درجة.. هذه عفاف أخرى، لكن كيف؟

هل يخبرها أنه يلاحظ تلك التغييرات، لكن لو قال لها هذا لقالت إنه كان ينظر لها على أنها « غوريلا » قادمة من حديقة الحيوان، وهو يعرف لسانها الذي لن يصمت إلى الأبد وقتها، ومن الممكن وقتئذ أن يلقى نفسه من الشرفة لأجل أن تصمت هى.. إذن فليَلُذ بالصمت ويشاهد المسلسل حتى نهايته، حتى تأتى هى لتذكر له سبب هذا التغيير.. لكن هذا سوف يدل على عدم الاهتمام، وبحق هو مهتم، أو لنقل إنه صار مهتمًّا لأبعد الحدود!
إذن فليصارحها وليتحمل لسانها.
هكذا قرر أن يفعل، وهكذا ذهب وابتاع الغداء الذي تشتهيه.. إنه لم يرها تأكل منذ أسبوع تقريبًا، أو لعله لم يكن مهتمًّا كما قلنا، لكن الآن صار مهتمًّا.
وقتها دلف إلى الداخل يحمل شنطة بلاستيكية بها فرخة مشوية ونصف كيلو كباب.. سوف يعزمها على الغـداء وأثناء الغـداء سوف يصارحها بذلك التغيير، ويسألها: كيف حدث هذا؟!
ربما هو الفضول أو ربما لأنها صارت أجمل بالفعل أو لنقل إنها لم تعد عفاف.
كانت هى وقتها فى الحمام تأخذ حمامًا ساخنًا..
لفت خصرها بالمنشفة، وقد أخذت قطرات الماء تتساقط من جسدها على أرض الغرفة صانعة بعض البرك الصغيرة من المياه كلما خطت بضع خطوات..
لقد صارت أنحف من ذى قبـل.. هـذا واضـح مـن لفـة المنشـفة على خصرها..
« أى »!
قالتها وهرشت فى كتفها بعد أن شعرت بلسعة حشرة ما آلمتها للغاية، لكنها واصلت طريقها إلى غرفة النوم ومن ثم إلى المرآة.. نظرت إلى كتفها حيث اللسعة، لترى أثرها، فرأت ذلك الاحمرار!
حينئذ فقط زادت اللسعات، الآن زادت اللسعات وصارت فى أماكن متفرقة من جسدها، وكأنها جلدت بالسياط!
نزعت المنشفة بسرعة وألقت بها على الفراش بعيدًا عنها لترى مصدر تلك اللسعات.. حينها رأت الهول ذاته.. كل تلك الكمية الهائلة من النمل تسرى على جسدها بحرية تامة.. حشد كامل من النمل قد اتخذ جسدها مرتعًا!
- أطلقت صرخة ليست بالهينة، صرخة توقظ الأموات من قبورهم.. ثم سقطت فاقدة الوعى.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ألقى هو الكيس البلاستيكى على المائدة وهرع كالمجنون بحذائه نحو الحمام حيث أتى صراخها..
وجدها ملقاة على الأرض والنمل يغلفها كالشرنقة!
أراد أن يصرخ هو الآخر، لكنه تذكر أنه رجل وأن دوره ليس صراخًا بل أن يأتى بخرطوم الماء ويزيح النمل عن جسد عفاف أولًا.. وبقوة اندفاع المياه وهو

يوجهها نحو جسدها العارى المغلف بالنمل، أخذ يزيح تلك الحشرات عن جسدها.. الماء يأخذ النمل إلى البالوعة شيئًا فشيئًا.. تفيق هى من المياه وتسمع صوت (ممدوح) وهو يقول لها آمرًا: أغلقى عينيك وفمك ومنخارك حتى أنتهى.
تفعل ما أمرها به، حتى تفرغ من هذا الكابوس.
يلقى بالخرطوم على الأرض وهو يتنهد ويهرع إلى الجسد العارى ليلتقطه.. ويضمها إلى صدره.. هى تبكى كالأطفال، وتدس نفسها داخله أكثر.
يجلس جوارها يلهث، وهو يضيف:
- ما الذي حدث؟!
يقولها ثم يضيف:
- لم أر شيئًا كهذا من قبل.. كأنما هى لعنة أو سحر ما!
- .....
لا رد منها.. فقط تبكى وتدس نفسها فيه أكثر حتى تشعر بحمايته.
هنا يقبل جبهتها كالأب الحنون.. لكن لحظة.. ما هذا؟! هناك شىء غريب!
- يا عفاف، النمل كان عنده حق فيما فعل، هذا لأن مذاقك صار «حلوًا»، لقد صرت « حلوة » بالفعل، لكن مذاقك أيضًا صار حلوًا!
∞ ∞ ∞ ∞ ∞
تجلس على مقعد الأنتريه، وتضم معطفها إليها، وتمسح بمنديل أنفها الأحمر الملتهب، وتقول وخصلات شعرها أمام عينيها: - لقد فعلت كل هذا لأجلك أنت.. لأجل أن أكون جميلة أمامك دائمًا.. لقد ذهبت أنا وأمى إلى شيخ.
- ماذا؟!
يقولها متسائلًا وفاغرًا فاه، ثم يبتلع ريقه ويضيف:
- (عفاف) المتعلمة تذهب إلى الدجالين؟! هل ارتضيت بالدجل والسحر والمشعوذين؟! كيف هذا؟
- لا تقلق.. سوف أعود إليه أنا وأمى وسوف أطلب منه أن أعود كما كنت.. قبيحة!
قالتها وانهمرت دموعها.
نهض هو من مجلسه وقال وهو يحتضنها:
- أقسم لك إننى أحبك كما أنت.. أحبك بأنفك وفمك وشعرك، وكل شىء.. لن يرضينى أن تذهبى إلى السحرة كى تكونى جميلة فى عينى، فأنت بالفعل جميلة.. أنت فقط تتوهمين.. لم أحب أحدًا غيرك ولن أحب أحدًا غيرك.
اعتدلت هى ونظرت إليه وهى تقول:
- سوف أذهب أنا وأمى إليه مرة أخرى كى يخلصنى مما أنا فيه وكأنك لا تعرف شيئًا.
- لن أدعك.

- بل ستدعنى.. لا تخف.. لن يحدث لى شىء.. هو رجل ودود، وربما أنا من استخدمت الورقة استخدامًا خاطئًا، وسوف يعود كل شىء كما كان.. صدقنى.
- أصدقك، و ...
- سامحنى أيضًا.
- أسامحك.
قالها ثم قبلها مرة أخرى فى وجنتها ثم أضاف وهو يتذوق طعمها مبتسمًا:
- هل تصدقيننى إن قلت إن طعمك فى البداية كان أفضل؟!
لأننى لا أحب الأشياء التي بها سكر كثير.
قالها وابتسما..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

عادت وقتها إلى الشيخ (صابر) وطلبت منه أن تعود كما كانت.
قالت له إنها راضية، راضية بما كانت عليه، ولا تريد تغيرًا.
نظرت لها أمها وهى تنظر إلى جسدها ووجهها الذي صار جميلًا نظرة تشى بألف شىء، لكنها أضافت مصرة: - أريد أن أعود كما كنت.. كما كنت قبل زيارتى لك.. أقصد: لحضرتك..
ابتسم وقتها وقال عبارته المأثورة:
- لا يحب أحدكم قدره، لا يحب أحدكم حاله. الكل يريد قدرًا آخر غير قدره.. حالًا آخر غير حاله.. وعندما يدرك.. فقط عندما يدرك، يتمنى أن يعود إلى حاله.
حسنًا بنيتى.. أنت الآن كما كنت. خلال يوم أو اثنين سوف تعود الأحوال كما كانت.. وسبحان من يبدل الأحوال من حال إلى حال!
كادت تهم بالانصراف إلا أنه أضاف:
- فقط لا تعودى إلى ولا تذهبى لغيرى، وإلا عاد كل شىء كما كان.
وهكذا انتهت الجلسة وانتهت القصة الأولى.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كرامة أخرى من كراماته
سيدتان ورجل كهل.. تنفرج أسارير السيدتين، أما الرجل فيظهر على تعابير وجهه عدم الاكتراث..
تهم إحدى السيدتين بتقبيل يده فيسحبها قبل أن يمس فمها ظهر يديه، وهو يقول: - العفو يا بنتى.
تبتسم وتقول:
- حفظك الله يا شيخ (صابر)، ولا أراك الله مكروهًا فيمن تحب!
ابتسم الشيخ بدوره، وقال وهو يناولها الورقة التي كتبها:
- هذه الورقة يتم تنفيذ ما فيها كما هى بالحذافير.
تتناول هى الورقة من يديه بلهفة، ثم تقسم له إنها لن تنسى تلك التعليمات المقدسة، وإنها تجله وتحترمه.

وتنصرف ومعها جيوش الأمل، لكن الرجل العجوز الذي كان يسير بجوارهما ظل يحوقل ويبسمل فى سره غير راض عن أى شىء من هذا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كان اسمها (حسنية)، وكانت ممرضة..
أنت تعرف تلك المهنة جيدًا، وتعرفها هى أيضًا.. هى تعرف أنها ليست جميلة، لكنها تعرف كيف تجذب الرجال ناحيتها.. هناك فارق كبير بين الإغراء والجنس، هى تعرف هذا وكأنها درسته فى فيينا..
إنها فقط « تجر الرجل » كى تأخذ ما تريده من أى أحد.
نحيفة، سمراء قليلًا، أو لنقل إنها خمرية كالزجاج، ترتدى تلك الملابس البيضاء..
تنهب الغرف نهبًا، تأخذ من هذا وهذا..
يريد هذا أن يدس فى جيب سترتها مالًا كى يلامس البضاعة عن قرب، فتمسك يديه وتنظر إليه تلك النظرة التي ألهبته.. عيناها كالحجارة بل أشد قسوة.
هنا دق قلبه وهمس له أنها عفيفة وشريفة.. هى تقبل الأموال، لكن كلهن يقبلن، وهذه ليست رشوة، بل ثمن شاى أو قهوة، هكذا تعارفن عليها، ربما بقشيش.
لقد أتى يومين متتاليين لزيارة قريب له فى تلك الغرفة رقم ٤ بالطابق الثالث.. لقد صارت تنتظره.. لقد تعلق قلبها به هى الأخرى.. لقد بادلته ذلك الإعجاب.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كان اسمه (حنفى)، وكان يعرف أن الناس تعرف حقيقته، لكنه لم يبال.
ذلك البنطال المهترئ من احتكاك فخذيه ببعضهما يفضحه إن جلس على راحته على أحد المقاعد ونسى نفسه.. حين يتذكر يضم ركبتيه إلى بعضهما، ويتذكر أنه يعرف أن الناس تعرف حقيقته.
لكنه لا يريدها هى أن تعرف.. هى (حسنية) تلك المرضة خمرية اللون.
هناك جوار عربة الفول ينفخ شدقيه بالطعام، يلوك من طبق أغرقه بالطحينة والزيت، ويطحن أسفل قبضته « فحل بصل » يتناوله كله دفعه واحدة، ووسط هذه المعركة يختلس نظرة على باب المركز الطبى القديم.. الآن سوف تخرج كى تحضر لهم الفطور من عم (حلمى)، لذا هو يقف عند الرجل.
يتناول لقمة أخرى، ثم يراها!
كالغزال تقفز وسط السيارات كى تعبر الطريق بالمعطف الأبيض الضيق الذي ألهب قلبه، قلبه الذي يزيد بضع دقات.
يترك الطبق وكل شىء ويمسح فمه وشاربه بمنديل.
تلمحه هى فتصطنع تجاهلًا، وتقف أمام العربة وتمد يدها إلى عم (حلمى).. هنا يتناول النقود منها ويناولها هو للرجل، وينظر إليها وتتلاقى الأعين.. هنا فقط

كانت بداية الحكاية.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

تزوجا، ولم ينجبا، ومرت السنة الأولى ولم تظهر عليها علامات الحمل.
هناك خطأ ما.. ذهبا إلى الطبيب وقرر أنها عاقر، لن تنجب أبدًا.. صحيح أن هناك عملية، لكن الاحتمال ضعيف، والعملية تحتاج إلى الكثير من الأموال كما تعرف.. لذا لا ترهقا أنفسكما بما لا طائل منه، وتحملا قضاء الله، وتذكرا الآية الكريمة: « لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ (٤٩) أَو يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ».
هكذا انصرفا وقد سلما للقدر أنفسهما..
لكن وقتها تغير كل شىء فيها.
والدتها تصر على أنه سوف يتركها كالبيت الوقف ويذهب بلا رجعة، فلا فائدة منها..
سوف يتزوج من أخرى لينجب منها، فهو يريد أن يصبح أبًا، أيتها المعتوهة.. لن يصير أكثر من ذلك.. لقد مر على زواجكما الكثير.. ثم من أدراك أنه لم يتزوج أصلًا حتى الآن؟!
كلماتها تدق دقًّا على رأسها.. كلامها صحيح.. لقد تبدل كثيرًا.. لم يعد مهتمًّا بها كما كان من قبل.. لا بد أنه تزوج، وإن لم يفعل فإنه يبحث الآن.. والدته سوف « تزن » على أذنيه كى ترى لها حفيدًا..
والعمل؟!
تقولها لأمها التي تبتسم وتقول لها ناصحة:
- الشيخ (صابر).

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

وهكذا ذهبا إلى الرجل فى بيته..
حكت له كل شىء، وأضافت:
- أريد زوجى كالخاتم فى أصبعى.. أريده أن يستمع إلى كلامى.
وأخرج الرجل ورقة خط فيها بعض الأشياء، وكرر تلك الكلمة مرارًا: « بالحذافير »!
تتناول هى الورقة من يديه بلهفة، ثم تقسم له إنها لن تنسى تلك التعليمات المقدسة، وإنها تجله وتحترمه.
وتنصرف ومعها والدتها وقد اجتاحت نفسها جيوش الأمل فى الشفاء، وانتهاء تلك الرحلة من الألم والعذاب مع تلك الأرواح النجسة، لكن والدها العجوز لم يكن راضيًا عن كل هذا.. كان يسير بجوارهما وهو يحوقل ويبسمل فى سره.
وكان الحق كله عند ذلك العجوز، فما حدث شىء غريب.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

لقد تبدل (حنفيِ) كثيرًا، صار كالأبلهِ المتخلفِ عقليًّا.

لسانه صار ثقيلًا، وصار سمعه ثقيلًا كذلك، أو ربما لا يستمع إلى حديث أحد سواها. يضحك كالمعتوه ويبتسم لها فى بلاهة.
يسقط من فمه اللعاب، وأنفه سائل دائمًا.
تصرخ (حسنية) فى زوجها قائلة:
- لقد تبدلت كثيرًا يا (حنفى)، وأنا السبب!
ينظر إليها وعلى وجهه علامات البلاهة كالمجاذيب.. عيناه تشردان ويبتسم ثم يقول بلسان ثقيل تخرج منه الحروف مهشمة: - أنتالسببفى ماذا؟ تقصدينفيأننى أحببببك؟ هههههههه خخخخخ
تلطم صدرها وخديها وتذرف دموعًا.. إنها بالفعل السبب فى تبديله.. لم يكن قبل شهر ذلك الأبله العبيط، بل كان رجلًا « ملو هدومه » كما يقولون بالعامية، يحبها تارة ويكرهها تارة أخرى، يختصمان ويتصالحان، يضربها ويلثمها.. حياة طبيعية كحياة أى رجل مع زوجته.. أما الآن فصار « خرقة بالية » لا لزوم لها، يسير خلفها بلا كلمة واحدة.. بلا معارضة.. لا يخالفها قيد أنملة، ولا يحيد عنها قيد أنملة.. أوامرها، أو أقصد: كلامها وتعليماتها، تنفذ بالحرف الواحد.. لك أن تصدق أنها إن قالت له: ألق بنفسك من النافذة لفعل وألقى بنفسه منها بالفعل.
وقد فعل ذلك.. ليس تحديدًا.. لكنه فعل مثله تمامًا.. قالت له: لتذهب إلى الجحيم، فأمسك بعود من الثقاب وجركن ملىء بالكيروسين وأفرغ ما فيه على رأسه كأنه أخذ به حمامًا، ثم أشعل عود الثقاب كالمنوم مغناطيسيًّا وكاد أن يلقيه على رأسه لولا أن « رقعت بالصوت وولولت » ونفثت فى العود الذي لم تتمكن منه النار لتطفئه فى مهدها.. أتى الجيران وحطموا الباب عليهم ليدخلوا ويروا المشهد.. الرجل كاد أن يحرق نفسه حيًّا.. فقط لأن زوجته (حسنية) قالت له أن يذهب إلى الجحيم.
كاد وقتها أن يحارب الجميع كثور هائج.. ضرب أكثرهم وسالت الدماء.. محاربًا عن عود الثقاب.. سوف يشعل عود الثقاب رغم أى شىء.. تعارك مع جيرانه لأجل قتل نفسه، لكنهم قيدوه وسط لطم للخدود وصراخ ونحيب من نساء الجيران ومن (حسنية) ذاتها.
ذهبوا وتركوه بعد أن عرض أكثرهم عليها أن يطلبوا له السرايا الصفراء.
لقد خف عقله، أو ذهب بلا رجعة.
وقتها علمت أنه قد تغير، لم يعد كما كان..
والسبب؟
هى..
لذا قررت أن تعود فى فعلتها وترجع إلى الشيخ الذي ذهبت إليه.
ذهبت إليه وأخذت تبكى، وحاولت تقبيل يده فسحبها قبل أن تفعل.. قالت بلهفة ورجاء: - أريد زوجى كما كان.. أرجوك.. لقد كنت مخطئة!

أريد أن يعود (حنفى) كما كان.. كما كان قبل زيارتى لك. لا أريده هكذا.. لم أطلب منك أن تجعله معتوهًا.
ابتسم وقتها وأضاف عبارته المأثورة بتؤدة:
- لا يحب أحدكم قدره.. لا يحب أحدكم حاله. الكل يريد قدرًا آخر غير قدره.. حالًا آخر غير حاله.. وعندما يدرك.. فقط عندما يدرك، يتمنى أن يعود إلى حاله.
حسنًا بنيتى.. هو الآن كما كان.. خلال يوم أو اثنين سوف تعود الأحوال كما كانت.. وسبحان من يبدل الأحوال من حال إلى حال!
كادت تهم بالانصراف إلا أنه أضاف:
- فقط لا تعودى إلى ولا تذهبى لغيرى، وإلا عاد كل شىء كما كان.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

المـريـد

ـ ١ -

تنظر (حسناء) إلى القهوة التي تفور وهى ممسكة بيد الكنكة التي تعزل القليل من السخونة، وتنظر إلى (حسن) الذي صار نحيفًا وشحب وجهه من فرط الصوم الكثير الذي أمره به (صابر) جده، وتقول: - لو كان والدك ووالدتك على قيد الحياة لما ارتضيا بما تفعله الآن..

تصب القهوة فى فنجان، وتأخذه وتتجه إلى غرفته و تجلس على مقدمة الفراش الذي ينام عليه وتضيف، وهى لم ترفع ناظريها عنه وهو لم يرد: - أنا أعلم أنك تقابله.. أعلم هذا منذ زمن.. لكنك صرت كبيرًا ولا بد أن تعى أن ما تفعله سيهلكك.

تتنهد وهى تراه يسبح بسبحته وتضيف:

- النبى كان يصوم ويفطر.

- وماذا تعرفين أنت عن النبى؟

قالها بابتسامة صفراء، وأضاف:

- أرجوك، اخرجى.. أريد أن أبدل ملابسى.

وضعت الفنجان على المنضدة وقالت:

- لن أتركك فتضيع منى فليس لى غيرك.. ثم إننى لست كافرة فأجهل نبيى، صلى الله عليه وسلم.. أنت من لا تعرفه، لا أنا.. نبيك لم يفعل ما تفعل.. أنت تبتدع يا (حسن)، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة فى النار.

لم يهتم لما قالت، لكنه قال:

- لماذا لم تتزوجى إلى الآن؟

كانت كلمة لها وقع الرصاصة فى قلبها، وكأن عينيها كانتا تنتظران تلكم الكلمة حتى تنفجرا عن سيل من الدموع.. لم تقل شيئًا.. فقط خرجت بعد أن أزاحت بيدها الفنجان فسكبته على الأرض، وانصرفت عنه وتركت له الغرفة وصفقت الباب خلفها.

يجلس هـو على الفـراش ويفـكر فى كلامهـا، ثم يضـيف وهـو يبتسم باستخفاف: - لم يبق سوى (حسناء) لتحدثنى عن الدين.. صحيح، ناقصات عقل ودين!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

تجلس هى فى غرفتها وتتصل بهاتفها برقم تحفظه عن ظهر قلب، فيجيبها من الناحية الأخرى رجل وقور: - ألو.. (حسناء).. صوتك ... هل تبكين؟

- لن أتحمل أكثر من ذلك.. كان خطئى.. وكلامك كان هو عين الصواب.. سوف نتزوج يا (سالم) وسوف أسافر معك وأترك له كل شىء.. لم أعد أحتمل، فجده قد ملأ رأسه بالخرافات.. لن يستمع إلى إن كررت كلامى ألف مرة..

وجودى معه لا فائدة ولا طائل منه.. سوف أعيش حياتى التي توقفت لأجله.. لقد كبر، وليتحمل نتائج أفعاله.
- حسنًا حسنًا.. لا تبكى.. فقط أريد موعدًا لزيارتكم.
- اليوم.
- ماذا؟!
- اليوم. فلن أحتمل التأخير أو التأجيل.
- حسنًا.. سوف أبدل ملابسى وسوف آتى إليك.
قالها، وأغلقا الهاتف، وأخذت هى تبكى.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فى الثامنة مساء دق جرس شقتهما.. فتح (حسن) ليجد ذلك الرجل فارع القامة ذو الشارب يرتدى بدلة سوداء وقميصًا أبيض براقًا!
سأله الرجل بود:
- هل أنت (حسن) شقيق (حسناء)؟
فأجاب أن نعم..
- إذن اسمح لى بالدخول.
بالفعل سمح له وأفسح له مجالًا للدخول والجلوس.
مر الرجل بعينيه على الشقة كلها، قبل أن يسأله (حسن) متوترًا: - أنا تحت أمرك.. ماذا تريد؟ هل تعرف (حسناء) أختى؟
- نعم، لذا قدمت إليك.
- وماذا تريد منها؟
- الحقيقة أننى رأيت (حسناء) منذ شهر تقريبًا فى محل لتجارة الجملة فى باب البحر.. آه.. نسيت أن أعرفك بنفسى.. أنا سالم جمال الدين، رجل أعمال، أقيم فى البحرين.. أنا مصرى لكننى أقيم هناك وتجارتى هناك. أعجبت بشقيقتك وأريدها أن تكون زوجتى.
ابتسم (حسن) وأضاف:
- هذا شرف لى، وهى هل ...
لم يكمل سؤاله له، لأنها خرجت من غرفتها وأمسكت بصينية عليها كوبان من الشاى وقالت: - نعم أنا أوافق.. لقد تعرفت على (سالم) وتقابلنا مرتين ونتحدث بشكل يومى.. أظن أننى كبيرة بما يكفى كى أفعل ما أراه مناسبًا وليس عيبًا.. فقط لا نكاح إلا بولى.. وأنت الآن ولىى.. لذا ...
صمتت لأن (سالم) قاطعها بقوله:
- أنا أريد الزواج من (حسناء) على سنة الله ورسوله، وقد دخلت البيت من بابه.. هل ستردنى؟
بالطبع خضع (حسن) لكلام (سالم) اللين الرقيق المهذب، ولم يجد مناصًا من أن يوافق.. وتم تحديد موعد الزواج، دون خطبة، بعـد أن قرأ الجميع الفاتحة.

بعد عشرة أيام كان كل شىء مجهزًا للزواج، وأقيمت مراسم الفرح سريعًا وأخذ (سالم) عروسه أخت (حسن) وغادرا القاهرة متجهين إلى البحرين، وجلس (حسن) فى الشقة وحيدًا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ـ٢ـ

- إذن تزوجت؟
- نعم، جدى.. ورحلت.
- وأنت؟
- أنا ماذا؟
- لن تتزوج؟
- لا يا جدى.. ليس الآن.. ليس لى رغبة فى الفتيات.. أراهن جميعهن سببًا فى المعصية.. لقد أذللت نفسى، وصبرت على الصوم حتى الآن، وسوف أعزل نفسى حتى تقول لى إننى أصبحت مؤهلًا.

صمت (حسن) برهة ثم أضاف:

- سوف أحاول كثيرًا رغمًا عنى.
- حسنًا.. سوف تترك لى شقتك ليومين.. يومين فقط.

لم يفكر لماذا.. فقط قال وهو يومئ برأسه بالموافقة: - حسنًا.. كما تريد يا جدى.. كما تريد.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بالطبع سوف يحاول لأن هناك (هالة.. هالة سهيل عبد الفتاح) صديقته فى الجامعة.. لنكن دقيقين فى حديثنا: هى تحبه وتقدم له كل المحاضرات.. صحيح أنها لا تقابل بنفس الحب، لكنه يلقى لها فتاتًا من نظرات الإعجاب وبعض الابتسامات.. هى تراه فتى أحلامها، الشاب المتدين، الذي يكافح ويعمل لأن والديه ذهبا وتركاه وحيدًا يجدف بقبضتيه فى بحر الحياة المظلم الملىء بالأمواج المتلاطمة.. قالت فى نفسها إنه زوج المستقبل، فهو يتحمل المسئولية من الآن، فسوف يتحمل مسئولية بيت وأطفال، وهو متدين لذا سوف يحافظ عليها بما يرضى الله.

لقد صارحت إحدى صديقاتها، فأخبرتها أنه « جلنف » لا يحب أو لنقل إن قاموس حياته ليس به تلك الكلمة من الأساس.. هو يعرفها لأنها تساعده وهذا كاف لأن يبتسم لها.. فلن يتناول منها كشكول المحاضرة ثم يصفعها بالقلم على مؤخرة رأسها، مثلًا.. لذا لا تضيعى وقتك معه.. سوف ينهى دراسته ويذهب إلى بيت فتاة يعرف أصلها ويتزوجها زواج صالونات.. اذهبى واتركيه لشأنه إلى الأبد، واحلمى بآخر.

أما هى فكان لديها الأمل.. الأمل الذي لولاه لمات نصف من بالكرة الأرضية.

أما هو فكانت تعجبه فى الحقيقة.. بيضاء، عينان خضراوان لو ترك نفسه ينظر لهما لما استفاق من سحرهما أبدًا، لكنه يغض الطرف عنها.. يجاهد، كما يقول لنفسه أمام المرآة دومًا.. الحياة مجاهدة.. كل هذه شهوات.. وهو لن يترك نفسه لها.. حجابها ولبسها رخيص، لكن مهندم، فهى تعرف كيف ترتدى، أو ربما لأنها جميلة فلو ارتدت جوالًا لكانت مثل مارلين منرو.. لكنه ينفض تلك الأفكار ويتوضأ ويقرأ القرآن.. لن أنجرف أبدًا.. سوف أصبح مريدًا، ثم شيخًا.. هذا حلمى.

لن أفتتن بها ولن أقع فى بحر الشهوات.

هى طريق النجاح.. صحيح أن هناك بعض الزملاء، لكنه أرادها هى، وهى أرادته هو.. ربما هى باب الحياة.. الفتنة.. الشهوة.. المعصية.. الذي لا يريد غلقه.. ولن يغلقه إلى الأبد، بل سيتركه مواربًا، ليعود ويلقى نظرة ثم ينخرط فى قراءة القرآن.. يقول أمام المرآة: لقد خلقنا الله لنخطئ.. ولا بد من تهذيب الشهوة.. ومن قـال إن هذا ليس تهذيبًا؟! فلماذا قال النبى `: « والذي نفسى بيده، لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم »؟!

هذا صحيح.. لذا سوف أترك الباب مواربًا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بعد انتهاء المحاضرة توجه الاثنان إلى (حسن) الذي كان منهمكًا فى كتابة آخر ما قاله الدكتور.. انتبه للقادمين من خلف ذراعه، فترك ما كان يفعله والتفت إليهما.. ضحك الاثنان، وقال أحدهما: - لقد تركتنا ونسيت أن لك أصدقاء أيها الرجل.. ولحيتك قد استطالت.. هل ترهبنت؟

قالها (سيف) وضحك، ليضحك صديقه الآخر (كريم)، فقال (حسن) وهو يلملم أوراقه وكشكول محاضرته: - شىء كهذا.

- إلى أين أنت ذاهب يا (حسن)؟

قالها (سيف) وأضاف:

- لقد انعزلت تمامًا عن كل شىء، حتى محاضراتك صرت تأخذها من ...

صمت ثم أضاف:

- (هالة)..

- وما شأنك أنت؟

قالها بحدة وسقطت بعض أوراقه فلم ينحن ليلتقطها، وأضاف بعد أن شعر أنه قد أخطأ التعبير مع صديقه الذي لا يريد له إلا مصلحته: - أرجوك يا (سيف)، لا تتحدث عن (هالة) فهى صديقة فحسب.. أليس لك أخت؟

قالها ثم انحنى والتقط الأوراق التي سقطت، ثم تركهما وغادر المكان.. هو يعلم كل ما قالوه منذ دخل فى خلوته وانعزل عن الجميع.. وهذا شرط الخلوة: البعد عن الأغيار والعزلة من النفس وما تدعو إليه ويشغل عن الله.

وهذا شرطٍ لِأنٍ يكون مريدًا.

لذا لم يعبأ بأى أحد وترك كل شىء وعاد إلى بيته الخالى.
∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ـ٣ـ

فى المسجد..
جلس (حسن) أمام (صابر) جده، الذي أضاف والأناشيد يسمعها فى الأرجاء:
هذه حلقة ذكر خاصـة بك يا (حسـن).. لقـد أديت الامتحان واجتزته بنجاح.
الأناشيد تعلو، ويبدأ أحد الفتيان من المريدين القدامى بترديد الإجازة: سلامًا على المحبين.. سلامًا على كل من حضر.. سلامًا على محبى سيدى التكرورى والآخذين منه والآخذين عليه.
إلى سيد النقباء والسير بالسيارة، من رفع العلم إلى ظهره.
أوصى الخليفة بتقوى الله العظيم وأن يكون الخليفة عونًا للفقراء وأن يكون للفقراء كوالدهم وأخيهم وابنهم ويحافظ على منهج الطريقة..
فهذه وصية إلى يوم القيامة، حجة عليه.
بعد أن انتهى الفتى سلم (حسن) إلى الشيخ (صابر) الذي بدأ فى تلاوة آخر المراسم.
وبعد أن انتهى (صابر) أضاف وهو يحتضن (حسن):
- مبروك يا فتى، لك أمانة معى بعد أن نفرغ.
ابتسم (حسن) وأومأ برأسه فرحًا.
الأصوات حولهما تعلو..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بعد الحضرة والتنصيب ذهب الاثنان إلى شقة (حسن)..
ما إن دلف الاثنان، حتى قال (حسن) بلهفة وهو يضىء أنوار الشقة: - حسنًا.. متى سنذهب لتعطينى تلك الأمانة يا جدى؟
ابتسم (صابر) وقال وهو يدلف بدوره إلى الشقة:
- لقد ذهبنا بالفعل.. وسوف أعطيها لك الآن!
- ماذا؟!
قالها (حسن) باستغراب، ثم أضاف:
كيف هذا؟! أهى هنا؟
- نعم هنا.. فى شقتك.
- إذن أين وضعتها؟
قالها وهو يبحث عن أى شىء هنا وهناك فى الأرجاء، لكن قاطعه جده قائلًا وهو يقف أمام إحدى الغرف ويضىء نورًا: - هنا، فى تلك الغرفة.
صمت برهة ثم أضاف:
- هلم إلى.

قالها وأشار إلى (حسن) الذي هرع إليه ودلف إلى الغرفة خلف جده الذي سبقه ووقف بجانب خزانة الثياب وفتحها ليخرج من طيات الثياب مفتاحًا كبيرًا نوعًا، ناوله إلى (حسن) الذي وقف مذهولًا لثوان، لكنه التقطه بين يديه وأخذ يقلبه ويتساءل: - ما هذا؟! وما تلك النقوش؟!
أجاب (صابر) كأنما كان ينتظر هذا السؤال:
- « وبالفتح يا فتاح فافتح قلوبنا، لكشف خفى فى القلوب إذا خفت »!
- أنا لا أفهم شيئًا.. ما معنى هذا؟!
كأنما لم يسمعه أكمل (صابر):
- بنى.. إن الفتاح هو الذي يفتح الأبواب الحقيقية ويفيض بالفتح على الجميع.. والفتح على قسمين: فتح علم، وفتح كل شىء غامض.
والفتاح الذي يفتح مغاليق الملكوت لبصائر أوليائه ويفتح أبواب الرحمة للمؤمنين ويفتح الغيوب.. وحظ العبد منه أن يصبر حتى يفتح له مغاليق المشكلات الإلهية واللطائف العلوية الملكوتية، وأن ييسر الله على فهمه ما يعسر على الخلق من العلوم اللدنية وبواطن الرسالة وأسرار الكتابة.
قال ما قال وهو يشير إلى داخل خزانة الثياب، وكأنه يفسح الطريق لـ (حسن) الذي شق طريقه ناحية الخزانة، وأخذ ينظر داخلها باستغراب، ثم صمت برهة ليدقق النظر أكثر.. هنا لمح بعض الحروف المحفورة على الخشب ذاته داخل خزانته.. الغريب أن تلك النقوش لم تكن موجودة من قبل.. سار بيده على الحفر، ثم أمسك بكل الثياب دفعة واحدة وأخرجها من الخزانة وألقى بها على الفراش، ليجد مساحة أخرى تم اقتصاصها من الغرفة كى تكون هناك غرفة أصغر بكثير، ربما متر فى متر..
- متى حدث هذا كله؟ عندما طلبت الشقة منى ليومين.. صحيح؟
فقط أومأ برأسه موافقًا ومؤيدًا حديثه، ثم أضاف موفرًا الكثير من الحديث والشرح: هذا كله حماية لما بداخل الغرفة.
قرأ (حسن) تلك الآية بصوت خفيض: « يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّماوَاتِ والْأَرْضِ فَانْفُذُوا لا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَان ».
قالها وهو يمد يده ويضع المفتاح فى ثقبه الخاص داخل الجدار الخشبى الخاص بظهر الخزانة، ثم أداره مرتين، وانفتح الباب!
كان مبهورًا بكل شىء، بعد أن انفتح الباب ليفصح عن مكتبة صغيرة فى الحائط تحوى الكثير من المجلدات والكتب والشموع وبعض الأوراق، وفى الركن الأيسر من المكتبة كان هناك صندوق صغير.
تساءل (حسن):
- ماذا يحوى هذا الصندوق لنحفظه بتلك الطريقة الغريبة يا جدى؟
واتجه إلى الصندوق ليحمله بين يديه.
نظر إليه (صابر) وأجابه:
- هذا يحوى أهم شىء لديك الآن يا (حسن)..

قالها وأضاف وهو يربت على كتفه:
- لكل ولى يا (حسن) كرامة.. وهذه هى كرامتك!
قالها وهو يشير إلى الصندوق، ويضيف:
- كانت كرامتى، وهى كرامتك من بعدى.. يجب أن تظهر للناس أنك ولىّ.. ولىّ ولديك كرامات يا بنى.
خرج من الغرفة الضيقة إلى الغرفة الرئيسية الواسعة، وجلس على الفراش ليكمل حديثه، وتبعه حسن الذي أخذ الصندوق معه وخرج بدوره ليجلس على الأرض ويصغى السمع: - أعتقد أن الوقت قـد حـان لتعـرف كل شىء، أى بنى.. لقـد رسخ جدى ومن قبله أبوه قواعد محددة يجب أن نسير عليها حتى لا ينفرط العقد.. لقد ربط عامة الناس منذ بدء الخليقة الولى بالقوى الميتافيزيقية أو ما يطلق عليه عالم ما وراء الطبيعة، من حيث الغيبيات والقوى الخارقة للطبيعة، التي لا يستطيع هؤلاء الناس التعرض لها وإلا أصابتهم اللعنات.. وقـد سـاعد على قبول هذا التجسيد المرتبط بفكرة الولى ذلك الفكر والعقل المتدين الذي ترسخ فى تلك القوى الغيبية منذ عصور أجدادك القدماء وتلك الآلهة التي كانوا يدعون لها ليل نهار مرورًا بعصر الفاطميين إلى وقتنا هذا.. فلن يكتفى الناس بأنك صالح أو كونك قدوة صالحة ومثلًا يحتذى بين أتباعك أو داخل مجتمعك..لا بد أن يكون لك كاريزما خاصة وكرامات حسية مختلفة.. هناك من يختلق القصص.. أقصد من أتباع الأولياء.. منهم من يختلقون قصص الكرامات كى يتبعهم العامة.
صمت برهة وهو ينظر لـ (حسن) الذي فغر فاهه فى بلاهة وفى علامة واضحة على أنه لم يكن يتوقع أن يكون جده بتلك الفصاحة والحكمة وطلاقة اللسان، فأكمل (صابر): - لقد حاول جد أجدادك بعد وفاة أبيه، وكانوا يطلقون عليه « الشيخ يحيى»، أن يقيم له مولدًا وأن يقول للجميع إنه ولى وإنه رجل صالح.. حتى بعد مماته.. وهو بالفعل كان صالحًا.. لكنهم ضربوه ونهروه.. ولم يدرج فى عداد الأولياء المشهود لهم بالولاية والصلاح إلا بعد أن أظهر لوالده الكرامة بعد مماته.. لقد أخذ جدك الذي أتحدث عنه هذه الكرامة (قالها وهو يشير إلى الصندوق) من شيخ يدعى « تكرورى ».. لقد حباه هذه الكرامة وحمله هذه الأمانة.. ومن بعدها صار وليًّا معروفًا.. والآن نسير نحن على دربه ومنهاجه.. وهكذا تم نقل تلك الكرامة من جيل إلى جيل حتى وصلت لى، ومنى إليك يا بنى، فحافظ عليها.
يجب أن تعرف الجميع وتظهر لهم أنك ولى بالكرامة.. فولى بدون كرامة لا شأن له.. لا بد أن تكون لك حرمة خاصة.. لا بد أن تظهر لهم كراماتك.
قالها وأخذ المفتاح من (حسن) الذي - والحق يقال - كان فى حيرة من أمره، بين مصدق ومكذب، بين فطرة تأبى كل هذا وبين حب للشهرة، تلك الشهرة التي تجعلهم يلثمون يديك ويلقبونك « الشيخ فلان ».. دس (صابر) المفتاح فى ثقب الصندوق، الذي دار فى سهولة، وانفتح عن آخره!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

انفتح الصندوق ليفصح عن خاتم.. خاتم قديم بنى اللون منقوش عليه بعض النقوش الغريبة، وعلى بقيته كتبت تلك الآية: « وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ».

حرر (صابر) الخاتم من صندوقه، وناوله إلى (حسن) وهو يضيف: - هذه كرامتك يا بنى.. هذا الخاتم يجعلهم يحبون قدرهم المكتوب.. قدرهم الذي كتبه الله لهم.

قالها وأضاف ساهمًا:

أتذكر كلماتى لك يا (حسن)؟!

لا يحب أحدهم قدره، لا يحب أحدهم حاله.. الكل يريد قدرًا آخر غير قدره.. حالًا آخر غير حاله. فقط ...

قالها فقاطعه (حسن) مكملًا عبارته متذكرًا كلماته: - أجعلهم أنا يحبون قدرهم، حالهم الذي كانوا عليه، ويطلبون العودة إليه، بعد أن يروا بأعينهم ما كانوا يريدون.. حالهم الذي لم يكن من البدء قدرهم.

ابتسم (صابر) وقال وهو يربت على كتفه:

- أحسنت بنى.. فقط لا تنزعه من يديك أبدًا.. وإن خلعته فاجعله فى أمان.. احفظه جيدًا.. لقد فعلت ما فعلت ووضعت عليه رصدًا كى يحميه.

- « رصدًا »؟!

نعم، سوف أخبرك ما معنى ذلك فيما بعد.. لكن كل ما عليك هو حمايته.. لا يعرف عنه أحد وإلا قالوا إنك ساحر وإنك لست الفاعل.

كل ما عليك هو أن تتمنى لهم.. لكن لى عندك طلب واحد، أَىْ بُنَىّ.

- ما هو؟

قالها (حسن) فقال (صابر):

- عند موتى.. فقط تمن عودتى..

قالها ثم أضاف:

- ولا تسألنى لماذا.. فسوف تفهم.. سوف تفهم وحدك، لكن عندما يحين أمر ربك.

مرة أخرى أضاف (صابر) وهو يحتضن (حسن) بين ضلوعه: - الآن فقط يمكن أن أتركك وحدك.

قالها وهم بالانصراف، لكنه وقف على الباب ليعيد ما قاله مرة أخرى: - فقط تمن عودتى!

قالها وانصرف إلى شقته وترك (حسن) مبلبل الأفكار ينظر إلى الحائط والغرفة والخاتم وكل شىء حوله ويفكر فى هذا كله.

وضع الخاتم داخل الصندوق، وتناول منه ورقة كبيرة تشبه ورق البردى، ورقة كتب فيها بداية الحكاية.

أخذ يقرأ:
الشيخ التكرورى
ومن غرايب ما وقع فى غرة رمضان سنة ٧٤١١ لرجل تكرورى دخل إلى الجامع الأزهر وخلط فى كلامه وادعى الكرامة و ادعى أنه لديه من المعجزات ما تعجز أمامه العقول، فمسكوه وأتوا به إلى الشيخ أحمد العماوى وهو يقرئ فى درسه، فسأله الشيخ عن حاله وأخباره، فأخبره أنه كان من شربين وحلم أنه قد أتاه ملك وأخذه وعرج به إلى السماء ليلة السابع والعشرين من رجب، وأنه قدمه وصلى بالملايكة، وقد أذن له بإعطاء المعجزات، وقال له الملك: انزل فأظهر معجزاتك.. فلما سمع الشيخ أحمد العماوى هذا الكلام قال: لعل بك جنونًا يا رجل. قال: ليس بى جنون، وإنما أنا ولى ولى كرامات، فأمر الطلبة بضربه فضربوه وأخرجوه من الجامع الأزهر.. ثم إن عثمان كتخدا، أرسل يطلبه فواجهه فسأله فقال له كما قال للشيخ أحمد العماوى، فأمر بتوديته إلى المارستان.. فلما دخل المارستان هرعت الناس إليه فمكث فيه ثلاثة أيام والخلق تهرع إليه مصدقينه ليس مكذبينه من قبل أن تشرق الشمس إلى أن يأتى الغروب، من نساء ورجال أكابر وأصاغر من لا عقل له ويغلب عليهم الجهل، وصار المارستانى (التكرورى) يأخذ منهم مالًا، كل واحد على حسب حاله وحالته من خمسة أنصاف إلى نصف واحد وأقل من ذلك وأكثر.
وأخبر رجل من خدمة المارستان عن (التكرورى) أن الذي حصله هذا الأخير فى هذه الثلاثة أيام قد كسا من ذلك نفسه وعياله وعمل من ذلك الكعك واشترى منه النقل ومصروف رمضان، وصار يدعو لعثمان كتخدا لأنه أرسله إلى المارستان.. فلما كثرت الخلق وزاد ازدحام الناس والتفافهم حوله أخبر عثمان باشا بذلك، فأمر بإحضاره إلى الديوان فنزل الوالى فأخذه إلى أن أحضره بين يدى الوزير فسأله الوزير عن حاله وأخباره فأخبره بما أخبر به الشيخ العماوى وغيره سابقًا فأمر بحبسه فى العرقانة فحبس بها أربعة أيام.
وفى اليوم الخامس وهو خامس عشر رمضان أرسل الوزير وأحضر العلماء وأحضر الرجل التكرورى فسأله العلماء فرأوه مصرًّا على ما هو عليه فأمروه بالتوبة وأن ينزل إلى حال سبيله فقال: لا أتوب ولا أنفكّ عما أنا فيه ولو كنت أقتل.. فلما رآه العلماء مصرًّا على ما هو فيه ولم ينفك عنه أمروا الوزير بأن ينفى إلى نهاية البلاد وأن يجلد، فأخذه الوالى وأنزله إلى حوش الديوان وأمر الجلاد أن يضربه حتى يرجع فما رجع فنفاه، فقال قبل أن ينفى بعد أن التفت إليه: أنا أصبر كما صبر أولو العزم من الرسل.. ثم نفى إلى أقاصى الأرض و هو يوم الثلاث.. وذهب ولم يسمع عنه أحد بعد ذلك قط.
ومن الغرائب أن مِن الناس إلى الآن وبعد مائة عام مَن ينتظر عودة التكرورى على الشاطئ.
لكن بعضهم قال فيه:

كان التكرورى بن المأمون المثنوى رجلًا محتالًا مشعوذًا، يتعاطى مذاهب الصوفية، وينتحل ألفاظهم ويدعى كل علم، وكان صفرًا من ذلك كله، وكان يعرف الكثير من صناعة الكيمياء، والكثير من السحر الشيطانى الأسود، وكان جاهلًا مقدامًا متهورًا جسورًا على السلاطين مرتكبًا للعظائم، يروم إقلاب الدول ويدعى عند أصحابه النبوة.
انتهى..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الفصــل الأخيـر
ـ ١٠ -

يوم الاثنين لم يأت الشيخ (صابر) كعادته!
ذهب (حسن) إلى المسجد فى الموعد المحدد لهما، فلم يجده!
لا بد أن الشيخ (صابر) به علة.. انتظر لساعة، ثم لم يقدر، لهذا نهض مغادرًا المسجد، ودس نفسه فى أول ميكروباص متجهًا إلى منزله. منزل جده.
دق الباب كثيرًا، لكن لا رد!
كيف لم يفكر ولو لمرة فى أن يقترح على جده أن يأخذ نسخة من المفتاح..هكذا سوف يفعل فى المرة القادمة، إن كان هناك مرة قادمة.
دقيقة أخرى مرت دون رد، عندئذ تذكر أن لديه كتفًا جيدة تصلح لتحطيم الباب، وبالفعل بدأ فى دفع الباب بكتفه.. مرة.. مرتين.. ثلاثًا.. لكن لا شىء!
قدمه.. قدمه جيدة بالفعل لذلك الفعل، لذا ودون تردد بدفعة واحدة من قدمه طار الباب وعاد إلى الخلف فى ذل وخضوع، دلف عندها (حسن) إلى الشقة وأخذ يبحث عن جده، الذي وجده فى منتصف الغرفة منكبًّا على وجهه وقد فاضت روحه.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

لا بد أن (حسن) وقتها اتخذ كل الإجراءات اللازمة وتم دفن جده.
لم تعد الحياة وقتها كما كانت..
اتصل (حسن) بأخته (حسناء) وأبلغها الخبر، فقالت له: - البقاء لله يا أخى.. كان الله فى عونك!
.....
شعرت به وأنه يريد أن يتحدث معها فى أمر جلل، لذا سألته: - ما بك يا (حسن)؟! هل هناك أمر ما؟! هل تريد أن تحكى لى شيئًا؟!
.....
لا رد، لذا أضافت:
- حبيبى، أنا أشعر بك فأنت أخى وأنا من رباك.. قل.. قل لى، ما الذي تريد قوله؟!
لم يدر لماذا أراد أن يخبرها بكل شىء، أراد أن ينفجر فى البكاء، أراد أن يخبرها أن رأسه صار كطبق السلطة لا يعرف ما الصواب وما الخطأ؟!
هذا الرجل كان يحبه، لقد اعتبره مثالًا أعلى، كان يعتبره شيخًا بالفعل، لكن تلك الأشياء الغريبة الأخيرة قد فضحت الكثير.. صحيح هو يحب طريق الولاية والمشيخة والسلطة، وغير ذلك، لكن ليس هكذا.. هذه النقوش وذلك الخاتم، وما حدث فى شقته، والرصد.. إنه يعرف معناه.. لقد قرأه يومًا ما وقد سمعه كثيرًا ما يُذكر ملصقًا به الجن والآثار!

أراد أن يحكى لها كل شىء، لكنه لم يستطع، فقط قال وقد استفاق من شروده: - لا شىء أختاه.. فقط أردت أن أبلغك أن جدنا قد توفاه الله.. البقاء لله! هل تريدين منى شيئًا؟
قالها ولم ينتظر الرد، لأنه يعلم جيدًا أنها إن ضغطت عليه مرة أخرى فسوف يقر لها ويعترف بكل شىء.
أغلق هاتفه إلى الأبد، وتناول بعض الأوراق.. أمسك بعضها ببعض بمشبك خاص، وأمسك قلمًا وأخذ يخط ما حدث معه كله.. يومياته كلها..
قال فى نفسه أنْ سوف تقرؤها شقيقته يومًا ما.
ربما أرسلها إليها بعد الانتهاء..
حقيقة لا يعرف كيف حن قلبه إليها هكذا بعد وفاة جده، أو تحديدًا عندما تذكر كلامها، بعد أن شاهد ما أحدثه جده فى شقته..
« هو ساحر وكافر ».
أخذ يخط كل شىء حتى غلبه النعاس.
فى منامه أتاه جده وفى يده الخاتم!
أمره كثيرًا فى المنام أن يرتديه وأن يتمنى عودته.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

- ٢ -

نهض من نومه متعرقًا عرقًا شديدًا.. إنها الثالثة صباحًا تقريبًا.. ثنى الورق كله ووضعه داخل أحد جيوب معطف ما له لا يرتديه، وأمسك بالصندوق، وأخرج الخاتم منه، وارتداه.
أخذ نفسًا عميقًا حتى يتمالك أعصابه، ثم تمنى أن يكون جده على قيد الحياة.. هكذا إذن لقد فعل ما تمناه جده، بل فعل ما أراده هو كى يتأكد من شىء فى نفس يعقوب.
وانتظر..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فى نفس الوقت كان « عم مأمون » يجلس يحتسى قهوته فى المقابر وسط الأضرحة وشواهد القبور، ويصرخ فى ابنته (سعدية) أن تنام كى « يستفرد » بزوجته (نرجس) التي نامت وادثرت بمائة لحاف، وأخذت فى الشخير، لكنها زوجته على كل حال!
أمرها وكاد أن يصفعها، لكن سمع صوتًا فى الخارج!
لذا نهض وترك الغرفة كلها وخرج.. النار التي أوقدها كى تقيهم البرد قد انطفأت تقريبًا ... أمسك ببندقيته القديمة، وهى فى الحقيقة مرخصة.. حملها على عاتقه وانطلق يبحث عن مصدر الصوت وسط القبور.
هنا لمح شيئًا غريبًا! الضريح الجديد الذي دفن فيه الشيخ (صابر) قد تبعثر ترابه.. التربة نفسها.. إنها ...

هذا الحاج (صابر) نفسه! لقد لمحه يسير وسط القبور بكفنه الأبيض!
إنه هو.. هذا قبره!
لم يدر بقدمه إلا وهو يهرع صارخًا ليوقظ الأموات والأحياء: - كرامات (صابر)!
لقد شهدنا لك يا عم (صابر)!
∞ ∞ ∞ ∞ ∞
أما (حسن) فقد جلس فى شقته ينتظر، ينتظر شيئًا لا يدرى كنهه، لكن الباب دق!
نهض وفتح الباب ليجد ما كان ينتظره: جده الشيخ (صابر)!
يرتدى كفنه الذي دفن به!
لكن هناك ما لم يكن موجودًا من قبل: ذلك السكين الذي يمسكه فى يده، وعيناه اللتان صارتا بياضًا كاملًا!
وكان ما حدث سريعًا للغاية.. لم يدر إلا بالسكين الذي فى يد جده يخترق جدار بطنه ليمزقه.. لم يستطع أن يتحدث ببنت شفة.. فقط فرت من عينيه دمعة وتذكر حديث أخته له: - (حسناء) إن جدى طيب القلب، وكفى أنه يجعلنا نحيا معه فى شقته بعد سقوط منزلنا، ووفاة أبى وأمى.
قالت بغضب شديد:
- ليس بلا مقابل يا (حسن).. فكل شىء له مقابل فى هذه الدنيا.. أنا شقيقتك الكبرى وأعى جيدًا ما أقوله لك.. صدقنى.. هذا الرجل ساحر كذاب، يضل الناس بكلامه، يريد أن يظهر للجميع أنه شيخ يساعدهم حتى تصير سيرته عطرة فى وسط الناس ويتحدث عنه الجميع.. هو لا يريد سوى ذلك.
- وما المقابل إذن؟
هل تدفعين له أجرتنا وأنا لا أعلم؟
ثم إنه قد قال لى إنه يساعد الناس بلا مقابل.
نظرت إليه وقالت وهي تربت على كتفه فى أمومة:
- ليس كل المقـابل مالًا يا (حسن).. فهنـاك أشـياء أغلى فى ثمنها من المال ...
لقد كان الثمن هو حياته إذن.
تذكر حديثها واسودت الدنيا من حوله.
∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الخـاتمـة

ـ ١ -

جلست أحتسى الشاى مع (سعيد) وقد اتفقنا فى النهاية على إعادة الخاتم إلى مكانه.
وبحلول الصباح ذهبت أنا وهو إلى الشقة لإعادة الخاتم.. دخلنا إلى الشقة واتجهت إلى غرفة النوم ثم إلى خزانة الثياب.. أخرجت منها كل الثياب، وفتحت الباب ووضعت الخاتم داخل الصندوق وأغلقت الباب.
أمسك (سعيد) بالثياب لإعادتها إلى مكانها داخل الخزانة وهو يقول: - هل هذا الحل الأمثل؟
كان يعبث فى أحد جيوب معطف ما، فتساءل: - ما هذا؟
قالها وأخرج منه رزمة من الورق، ونظر إلىَّ فى عدم فهم..
قلت وأنا أتناول منه الورق:
- ما هذا؟
- لا أعلم.. لقد وجدته أمامك الآن.
أمسكت الورق وبدأت فى قراءته:
اسمى حسن خلف صابر..
توقفت وقلت:
- يبدو أنها مذكرات (حسن).
وضعتها فى جيبى، وغادرنا الشقة وأغلقت بابها بالمفتاح، وهبطنا الدرج.
قلت لـ (سعيد) الذي استقر بجانبى فى السيارة: - هذا هو أفضل حل.. ألا تتذكر كلام الشيخ (رضوان)؟ لقد أمرنا بأن نعيد كل شىء كما كان، وقال حرفيًّا لـ (عبد الحميد): - نصيحتى لكما وله.. أقصد صديقكما.. هى أن يرجع الخاتم كما كان ويغلق الغرفة إلى الأبد.. فالرصد الخاص به لا نعلم وظيفته ولا قوته. ولا نعلم ما هو مكلف به.. ربما كان تكليفه إن أخذ أحدهم الخاتم أن يفعل به الأفاعيل. لذا أعيدوا كل شىء لسابق عهده، وكفى الله المؤمنين القتال.
أضاف (سعيد) متسائلًا:
- وإن سأل عليه أصدقاؤك؟
- سوف أخبرهم أنك أضعته. حقيقة أنا لا أعتقد فى مثل ذلك الكلام، لكن الحيطة والحذر.
وهكذا عاد كل شىء كما كان من قبل.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ـ٢ـ

فى شقتى جلست أقرأ مذكرات (حسن) وهو ما قرأته أنت فى الصفحات الماضية لذا سوف أقرؤه أنا إن سمحت لى.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أضفت أنا محدثًا نفسى وأنا أتناول فنجان القهوة: لا بد أن (حسن) هذا لم يكن يعرف أنه سوف يُقتل من قبل جده، ولا بد أن جده هذا أراد أن يظهر كراماته حتى بعد وفاته: (صابر) هذا كان ساحرًا كبيرًا، لكنه أخذ ما كان يريده بالضبط.. ما رسمه فى خياله حققه له حفيده (حسن) الساذج هذا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بعد عدة أيام..

وجدت هذا الخبر فى إحدى الجرائد الصباحية وكان عنوانه كالتالى: « أولياء الله يزيدون واحدًا »..

وتحت العنوان عنوان آخر فرعى كتب فيه: « اليوم مولد الشيخ صابر »..

عنوان غريب..

لهذا بحثت عن الصفحة فورًا فوجدت الخبر التالى: « المعتقدات الشعبية فى صورتها الأولى كما هى موجودة فى أذهان الناس فى عالم غريب مليء بالميتافيزيقا والغيبيات..

فى عالم الكرامات نبتت حكايته، وفى حادثة غريبة من نوعها وفريدة أصبح ذا كرامة وصار له ضريح وزوار.. »

كتبت (رقية عبد السلام).

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(تمت بحمد الله وتوفيقه)

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

Group Link – لينك الانضمام الى الجروب

Link – لينك القنـــــاة

الفهرس..

مقدمة..

إهداء..

مقدمة

مشاهد قصيرة للغاية
بدايـة الحـكايـة
دكتور حسين الصياد
رحلة ليست سعيدة
سعيـــد
بداية الحكاية
حكاية ولى
كرامة من كراماته
المـريـد
الفصــل الأخيـر
الخــاتمـة